14 me Année No. 673

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

Lundi—27—5—1946

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
ص
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٧٣ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ — ٢٧ مايو سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الله وما بعد الحرب!

للاستاذ عباس محمود العقاد

سئلت فى أواخر الحرب عن الموضوعات الأدبية التى ستكثر الكتابة فيها بعد عودة السلام ، فقلت : إنها هى الموضوعات الروحية والموضوعات الجنسية .

وسبب الإكثار من الكتابة فى كلا الموضوعين واحد وهو الحيرة وقلق النفوس والرغبة فى السلوى والاستقرار .

فالذين فقدوا الأعزاء يحبون أن يشعروا بعالم الأرواح ليشعروا « بوجود » أولئك الأعزاء وأنهم غير مفقودين .

والذين يئسوا من حكمة البشر يحبون أن يركنوا إلى حكمة الله ، لأنهم لا يستريحون إلى اليأس من الأرض واليأس من السماء .

والذين غلبتهم الأحزان والآلام يحبون أن يغلبوها بقوة الإيمان ، وأن يقابلوا شيئاً من الخوف بشيء من الاطمئنان .

قلوب تشعر بالهم والقلق وتحب أن تشعر بالسلوى والاستقرار ، ولهذا يكثر البحث عن الأرواح والكتابة فى مباحث الأرواح ولكن القلق الإنسانى قد يلتمس السكينة من طريق غير هذه الطريق .

فالأجسام المستثارة تطلب الراحة فيما يلهيها وما يلذها ، وهيىء لها الأسباب فى مجال اللهو واللذة أن الحرب تركت مئات الألوف من الفتيات بغير أزواج وبغير عائلين ، وأنها تركت ألوف الألوف من الدنانير فى أيدى العاطلين أو أشباه العاطلين ، وأنها علمت الناس أن يحفلوا بساعتهم ولا يحفلوا بما بعدها ، وأن يستمتعوا بالحياة لأنهم على نذير فى كل لحظة بفقد الحياة .

لهذا يكثر الإقبال على موضوع الجسد كما يكثر الإقبال على موضوع الروح ، ولهذا توقعنا أن تنجلى الحرب عن إقبال عظيم على متاع هذه الدنيا وإقبال مثله على متاع السماء .

وانتهت الحرب فرأينا أول الشواهد على شيوع الدعوة الدينية من قبل العالم الاسلامى فى الهند خاصة ، وسرنا أن يتيقظ المسلمون فى هذا المجال مع الايقاظ ، فإن النوم فى هذا العصر يضيع على صاحبه الحقيقة ويضيع عليه الاحلام .

وجعلنا كلما قلبنا مجلة من المجلات السيارة فى الغرب رأينا فيها دليلا على هذه اليقظة الروحية وهذا الشوق العزيق فى النفس البشرية إلى عالم غير عالم الحس والعيان .

ومن أمثلة هذه اليقظة تحفز العالم البروتستانتى فى الولايات المتحدة لاستعادة سلطان الكنيسة على اتباعها وإدخال التعليم الدينى فى جميع المدارس المصرية . فإن رؤساء الكنيسة هناك يستميرون عنوان ويلكى « للعالم الواحد » لينشروا الدعوة إلى « عالم واحد فى ظل العقيدة الدينية » ويودون لو هيأت الحرب ومنازعاتها فرصة للسلام بين الأديان أو فرصة لاتفاق الناس فى عالم الروح .

قال خطيب منهم فى المجمع البروتستانتى بمدينة نيويورك :

« إن الدين خليق أن يكون أكبر القوى الموحدة بين الأسرة البشرية . فهى تعرف به قوة إلهية واحدة وقانونا أخلاقيا واحدا وأسرة واحدة من بنى الانسان . ولكنه على نقيض ذلك كان عاملا من أكبر عوامل التفريق والتمزيق بين كل قبيل ، ومهد القدر لذلك الايرلندى الساذج الذى أحزنه طول الخصام بين الكنيسة الكاثوليكية والكنيسة البروتستانتية فقال : ليت الله يجعلنا كلنا ملاحدة ننكر وجود الله أصلا لنعيش معا بعد ذلك كما ينبغى أن يعيش المسيحيون ... فى سلام ! »

وقال هذا الخطيب هارى ايدسون فوسديك — إنه لا يعنى بالوحدة الدينية أن المسيحية مثلا تعلم أتباعها ما يتعلمه البوذيون من دياناتهم أو من البيئة البوذية ، ولكنه يلاحظ أن الذين سعدوا بعشرة أناس من البوذيين أو المسلمين الهذبين يحسون شيئا من القرابة بين المؤمنين بهذه العقائد الدينية ، ويرجون صادق الرجاء أن تتيح لهم هذه القرابة سبيل التعاون على بلوغ الغاية المشتركة التى ننشدها أجمعين .

وعند الخطيب أن الخلافات الدينية قد نشأ أكثرها من الجدل العقيم ، ويضرب لذلك مثلا رواه عن لويد جورج السياسى البريطانى المشهور بفكاهاته الجدية وفكاهاته الهزلية على السواء . قال إنه كان يسوق سيارته فى بلاد الغال الشمالية ومعه صديق يتحدث إليه فى شؤون الديانة ، فقال السياسى الكبير : « إن الكنيسة التى أتبعها تتمزق الآن بنزاع عنيف على مسألة التعميد ، فطائفة منها تقول إن العماد إنما يحصل باسم الأب ، وطائفة أخرى تنكر هذا وتقول : بل يحصل العماد إلى إسم الأب ولا يحصل بحرف الباء . وإننى لا أكتمك أننى تابع لاحدى هاتين الطائفتين وأننى شديد الغيرة عليها وعلى استعداد للموت من أجلها . ولكننى نسيت أى الطائفتين هى التى أتبعها ... طائفة « أى » أو طائفة الباء !

وما رواه لويد جورج من باب الفكاهة هو الحاصل جدا وفعلا فى جميع الديانات الكبرى . فإن الشيع التى تتفرق فيها إنما تختلف أحيانا على شىء أيسر من الاختلاف بين حرفى الجر الصغيرين ، ولكنه اختلاف يكفى كل طائفة من طوائفها لتكفير الطائفة الأخرى وإرسالها مع اللعنة إلى قرارة الجحيم !

وإذا جاز هذا فى عصر الجدل فإنه لغريب جد الغرابة فى عصر المشاهدات والأعمال . فقد كان « البرهان الجدلى » أساس المعرفة كلها سواء فى العلوم أو فى العقائد والأخلاق . فأما وقد أصبح لهذا « البرهان الجدلى » شركاء لا يقبلون منه استبداده المطلق فقد آن لحروف الجر وما شابه حروف الجر أن تقنع بمكانها فى الأجرومية ، أو أن تستغنى بما يسفك حولها من المداد عما كان يسفك حولها من الأرواح .

وقد أشار الخطيب الأمريكى بحل لهذه المعضلة لا يبشر بالخير الكثير ، لأنه يرجع بالخلافات التى من هذا القبيل إلى إباحة التفسير الدينى لمن يشاء من قراء الكتب المقدسة ، فكلما اتفق خمسة أو ستة على تفسير جديد لكلمة من كلمات الانجيل خرجوا من كنيستهم وأنشأوا لهم كنيسة جديدة تنتمى إلى رئيس جديد ، حتى عدت هذه الكنائس المتشعبة بالعشرات وصح فيها قول لويد جورج إنهم يختلفون ثم ينسون سبب الخلاف .

وإذ كان هذا هو الداء فالعلاج الذى يومىء إليه الخطيب أن يناط التفسير بالقادرين عليه ولا يستباح لكل مستبيح من العامة وأشباه العامة ، فينحصر الخلاف إذن فى أضيق الحدود .

ولكنه علاج غير جديد فى الديانات ، فقد كان « حق التفسير المحصور » علة الانشقاق ومبعث الهجوم على حرية التفسير .

وإنما العلاج الجديد الذى يرجى أن يفيد فيما نعتقد هو توسيع حق التفسير حتى لا يكون فيه حرج على أحد ولا يوجب من فريق أن يعادى الفريق الآخر كلما عارضه فى تفسيره . فتوسيع الأفق هو خير علاج لضيق الحظيرة ، وقلة الصبر على فوارق الكلمات والحروف ، وإقامة الدين على الأسس العامة هو العاصم للدين من تفتيت العقائد فى الزوايا والسراديب . فليشمل الدين جميع المختلفين إذن ماداموا متفقين على الإيمان بقواعد الحق والخير والصلاح ، وليذهب عصر الجدل الكلامى ليخلفه عصر الوحدة الواقعية التى تقوم على اتفاق العقول فى النظر إلى حقائق الوجود .

وقد أحسن الخطيب الأمريكى فى كلامه عن الفصل بين

الدولة والكنيسة لأنه يقول إن الفصل بينهما قاعدة أساسية فى حكومة الأمة الأمريكية ، ولكنه ينتقده إذا فهم القوم من معناه أن تعليم الأديان محرم فى المدارس وأن تعليم الإلحاد فيها مباح ومطلوب .

ففى الوقت الذى تدرس فيه كتب « فرويد » ويتعلم منها الناشيء أن الديانات وهم من أوهام العقل الباطن وحيلة من حيل الغريزة الجنسية ، ينبغى أن يتفتح عقله لسماع كلام غير هذا الكلام عن دعاة الروح وسير القديسين والأنبياء ، وينبغى أن يتوازن تفكيره بين وجهات النظر حتى لا يصبح التحيز إلى جانب الإلحاد آفة عقلية شرا على رأس الناشيء من التعصب الدينى الذميم ، ومن ضيق العقل فى ناحية الإيمان والتسليم .

وهذا كله صحيح لا يختلف فيه المنصفون . فمهما يكن من شأن الدين فهو تراث إنسانى عريق الأصول شديد السلطان على العقول ، فليس فى وسع أحد أن ينساه أو يتناساه فى دور التنشئة والتعليم . وليس من العقل نفسه أن يستخف بقوة كهذه القوة كأنها قد خرجت خروج الأبد من ميدان الحياة الإنسانية فإن الذى يريد أن يخرجها خروج الأبد لم يثبت هو نفسه على قدمين بضع سنين ! ! وقد رأينا المبشرين بالفلسفة المادية فى روسيا الشيوعية يحنون الرؤس أمام هذه القوة ويفسحون لها الطريق مكرهين ، فإذا كانت فى هذه التجربة عبرة « عقلية » أو « علمية » فعبرتها العقلية والعلمية أن قوة الدين حقيقة راسخة لا يستأصلها كل من يريد ، وهو لا يدرى ما يريد .

* * *

وفى مجلة إمريكية — هى مجلة هاربر المشهورة — بحث آخر عن الموضوعين : موضوع التقاليد الدينية وموضوع الغريزة الجنسية ، يقول فيه الكاتب — جون مكبارتلاند — إن معيشة الشعب الأمريكى فى الأجيال الثلاثة الأخيرة قد تغيرت إلى مدى بعيد ، ولكن العقائد الدينية والقواعد الأخلاقية لم تصاحب هذا التغيير إلى أقصى مداه ولا إلى بعض مداه . فنحن الأمريكيين اليوم نحب النهود والأفخاذ لأننا نشاهدها كلما فتحنا صحيفة أو ذهبنا إلى الصور المتحركة أو نظرنا إلى غلاف رواية ، ولكننا نستعيذ منها فى « البيئات المحترمة » كأنها رجس من عمل الشيطان ، فما مصير هذه « الثنائية » الكاذبة فى المعيشة والأخلاق ؟

مصيرها تدل عليه وثائق الزواج والطلاق . فقد أحصيت نسبة الطلاق فى أربعمائة ألف وخمسين ألف زواج فإذا هى تربى على تسع وتسعين فى المائة ... فهلا تكفى هذه النسبة لإعادة الحجر على الموضوعات الجنسية أو عندك أيها القارىء — كما يسأل الكاتب الأمريكى — علاج جديد ؟

ونقول : بل العلاج الجديد غير بعيد .

فالعلاج الجديد فى عالم الروح ، ولكنه الروح الرشيد الذى لا ينكر الجسد كما أنكره الأقدمون ، وفى هذا الميدان متسع لدعاة الإسلام « الراشدين » الذين يوسعون الآفاق ولا يضيقون الخناق ، لأن الإسلام دين يعرف للجسد حقه ولا يناقض بينها وبين حقوق الروح .

عباس محمود العقاد

٣ـ في مقـــــالين :

هل حاسم لمشكلة الأزهر ، ومستقبل الجامعة الأزهرية

للاستاذ محمود أحمد الغمراوى

معذرة أيها الأستاذ الكريم ، وعتبا !

لم أقصد — شهد الله — أن أهمز أو ألمز ، أو أرى بعبارة ، أو أومىء بإشارة ، إلى ناحية الرسالة ، أو مكان رئيسها العزيز الكريم . وما كنت يوما بذى وجهين ، ولا أنا ممن يتكلمون بلسانين ، وأرجو أن يكون الله يعلم ذلك منى ولم يكن للرسالة عندى ، وليس لصاحبها الجليل فى نفسى ، إلا التقدير والاحترام ؛ وإلا ما عنيت من أنه ابن الأزهر البار ، البارع الفن ، المعتدل الرأى ، الذى يعده الأزهر فيمن يعدهم من مفاخره ، ويعتز بهم جنودا يدفع بهم عن كونه فى مستقبله وحاضره ! ؟

إنما كان من سوء حظى وسوء حظ الأزهر أن جرى قلم الأستاذ الفاضل برأى لم يسبق للأزهر أن سمعه فيما سمع من دعاوى تقام عليه ، وتهم توجه إليه ، وسهام تصوب عليه . وآخر ما كان يجرى على ألسنة أولئك الذين يرون الأزهر قذى فى الأعين وشجى فى الحلاقيم : أن الأزهر تنقصه الثقافة ، وتعوزه اللباقة والحصافة : وأنه لا بد من توحيد تخريج المعلم ، ليصقل خريج الأزهر بصقال العصر الحديث . هذا أشدّ ما كانت تلوكه ألسنة المتجنين على الأزهر أو ترمى به نبال الجانين عليه : سمعناه غير مرة فيما شهدناه من مجالس اجتمعت فيهـا لجان ألفت لبحث ما كان يسمى بمشكلة تخريج المعلم ؛ على أننا لم نسمع من أحد ممن جلسنا معهم من أعضاء هذه اللجان وتحاورنا معهم : لم نسمع من أحد من هؤلاء ، وهم من كبار رجال المعارف المسئولين ، وعظمائهم المدودين ، لم نسمع كلمة منهم توىء إلى مثل ما جاء فى الرسالة من أنه يجب تعديل نظام التعليم فى الأزهر تعديلا يقتطع ست سنين من مدة التعليم فيه لتحقق وحدة الثقافة التى تتوقف عليها وحدة الأمة .

فهل يلام الأزهر إذا جزع لسماع هذه الكلمة وإذا رآها مكتوبة فى إحدى صفحات الرسالة بقلم مديرها المفضال ؟

يا لهول الموقف ! نظام الأزهر القائم يأبى وحدة الثقافة ولا يرضاها ، ووحدة الثقافه تتوقف عليها وحدة الأمة !

أليس معنى ذلك أن نظام الأزهر القائم خطر على وحدة الأمة لأنه يأبى ولا يرتضى الثقافة التى تتوقف عليها وحدة الأمة ؟ وهل هذا إلا إلقاء الأزهر فى فوهة المدفع ؟ ومن ذا يستطيع أن يكون حجر عثرة فى سبيل وحدة الأمة ؟

وهل الأزهر : أرضه ، وسماؤه ، وبناؤه ، ورجاله ، وأبناؤه إلا فداة الوطن والعرش ، وبناة وحدة الأمة : يفدون الوطن والعرش بحياتهم وأرواحهم ، ويشيدون بناء وحدة الأمة بعقولهم وجسومهم ، ودمائهم !

أجل ، إنه كان من سوء حظى ومن سوء حظ الأزهر أن تسطر هذه الكلمة بقلم الأستاذ الزيات ، وأن تقرأها أعين الناس على صفحات الرسالة . فإذا كان فيما كتبت ما رأى الأستاذ فيه تعريضا ، فإن ذلك موجه إلى الرأى وحده ؛ وليس موجها إلى رائيه أو كاتبه ، فإنى لا أرتاب فى حسن نيته ، ثم أعود إلى الموضوع

٢ — إنشاء جيل قادر على الاجتهاد والتجديد :

إنشاء جيل من العلماء العاملين القادرين على الاجتهاد والكشف عن حكم الدين ويسره ، وسماحة الشريعة فيما تضمنته من الأحكام هو أمنية كل مؤمن ونشدة كل مسلم يود أن تكون الأمة الإسلامية حينما توجد جماعاتها عزيزة فى أوطانها ، سعيدة فى حياتها ، تستمد القوة والعزة من اعتصامها بالدين ، وتجد طمأنينتها وسعادتها فى ظل شريعته الوارف الظليل ، وتدفع الظمأ بما تستنبطه من ينابيع هذه الشريعة العذبة الموارد الغزيرة الفيضان . ولقد كان الأزهر من أهم المدارس الدينية التى يرجى أن تسعف الأمة بحاجتها من أولئك العلماء البرزين ، وقد أخرج للأمة كثيرا من كبار رجال العلم فى مختلف العصور ممن يشار إليهم بالبنان من الفقهاء وحفاظ الحديث ، وعلماء اللغة ، ورجال القضاء ممن أوفوا بطلبة الأمة إلى هذا المهد الأخير على قدر زمانهم .

أما الاجتهاد فى الدين فليس من حق الناس فى هذا الزمان

أن يتطلعوا إليه ، أو يتكلموا فيه وهم لا يعنون بشئون دينهم ، عنايتهم بنظافة أحذيتهم ؛ وقد جعلوا من سفائن البحر مراكب ليقطعوا بها المهامه والفلوات ، وأعدوا من النوق والأبعرة سفنا يشقون بها عباب بحر الظلمات . ثم هم لا يريدونه دينا يرقى بالإنسانية إلى ذروتها العليا ، ويسمو بآخذيه إلى أعلى منازل العزة والقوة والمجد ، فلا يرضى أن ينزلوا منها فى المنازل الدنيا ! . ولكنهم يريدون أن يتخذوا لهم دينا على غرار ما كان يتخذ بعض العرب معبودهم فى أزمنة الجاهلية ؟

يريدون أن يستخدموا لهم دينا من الحلوى ، إن طاب لهم أكلوه وإذا لم يوافق شهواتهم تركوه !

يريدونه ديناً يحطب فى حبال رغباتهم ؛ ويفرىّ ما شره من شهواتهم ؛ ويطعمهم الخبيث من لذاتهم ، فهم فى غيهم يعمهون ، وما الله بغافل عما يعملون .

* * *

ثم أعود إلى ما كنت فيه من الحديث عن الأزهر الذى قد وضع فى مفترق الطرق . فاذا كانت مهمته وغايته هى — كما قال الأستاذ الزيات بحق — أن يفقه الناس فى الدين وفيما تفرع من أصوله من شتى العلوم ، وأن يعلم اللغة وما اتصل بآدابها من مختلف الفنون — فالأمر بين ؛ والطريق غير مشتبه ؟ فلتترك له نظمه وأقسامه الابتدائية والثانوية تعد الطلاب لدراساته العالية فى الكليات الأزهرية مع تعديل قليل فى وضع المواد التى تدرس فى هذه الكليات وليحمل الطلاب على احترام النظام ودراسة المقررات . وبقاء الأقسام الابتدائية والثانوية على نظامها الحالى الذى يعد الطلاب للدراسة فى الكليات الأزهرية هو الوسيلة الوحيدة التى تمكن الأزهر من أداء مهمته وتحقيق غايته ، كما أن نظام الدراسة فى المدارس الابتدائية والثانوية يعد طلاب هذه المدارس للدراسة فى كليات الطب والهندسة والعلوم والزراعة وغيرها كما هو واضح من نظم الدراسة ومناهجها فى هذه المدارس. ومحاولة جعل النظام الدراسى فى معاهد الأزهر الابتدائية والثانوية على غرار نظام المدارس الابتدائية والثانوية التى لوزارة المعارف سيجعل من الخرافة التاريخية التى تروى للأطفال فى قصة الغراب والقطا قصة واقعية نرجو أن لا تمثل فى الأزهر .

إن الأزهر لا تزال فيه بقية من الذماء ، وصبابة فى الإناء ، هى هذه البقية الصالحة من الغراس النافع الذى امتدت بالإحسان به إلى الدين وإلى الوطن الإسلامى العام يد الملك المعظم المغفور له الملك فؤاد ، طيب الله ثراه ، وخلد بأعماله الصالحة الباقية ذكراه، وجعل الجنة مأواه .

فهذا الغرس الصالح الذى غرسته يد فؤاد المباركة ، وهذه الصبابة النافعة الباقية من بركات يده وسيبه الجزل جديران بأن ينالا حظها من عطف شبله المظيم ، ورعاية نجله الملك الهمام جلالة الملك فاروق ، أيد الله عرشه وأدام ملكه محروسا بعناية الله ، ليؤتى هذا الغراس العزيز أكله ، ويثمر هذا الزرع المبارك بفضل من عطف جلالته ثمره ، فإن العهد بجلالة الفاروق (حفظه الله) الحفاظ عما تركت يد والده من غراس — وكل غراس له صالح ، وتعهده بما يكفل له النماء والبقاء .

وهذا النظام الإصلاحى الباقى فى الأزهر شبحه لم تكلأه عين ساهرة ، بل شغلت الشواغل الخارجة عنه تلك الأيدى الماهرة . ثم انه لم يوضع عفوا ، ولم يجعل لهوا ؛ ولكنه ألفت له اللجان ، وتصالحت فيه الجان ، ورفعت له البنود ، وتراهت فيه البرود . فمن الحيف عليه ، والتخون لواضعيه أن يوأد وهو وليد ، أو يشوه خلقه وهو غصن جديد .

والأمل معقود بعطف جلالة الملك المعظم فى الإبقاء عليه حتى يشتد هذا الفطيم وينهض قائما على ساقيه ، ويعدو فى ميدان الحياة سباقا على قدميه . وهذا ما نرتقبه للأزهر بهمة شيخه الجديد حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر الشيخ مصطفى عبد الرازق وفقه الله وأعانه وحقق على يديه الآمال .

وأختم كلى كما بدأته بإسداء أكرم التحيات إلى الأستاذ الزيات مدير « الرسالة » ممجداً فيه حرية الرأى ، ورحابة الصدر ، وبراعة الفن ، وبلاغة القلم . والسلام .

محمود أحمد الغمراوي

المفتش بالأزهر
وشيخ معهد دسوق والزقازيق سابقاً

شـــيخ فى مرقص !

للأستاذ على الطنطاوى

— ١ —

كنت أصلى أمس فى مسجد العباس ، فلما قضيت الصلاة وتلفتُّ للسلام لمحت (فلانا) فكذبت بصرى وعدت إليه أتثبّته فاذا هو بلحمه ودمه ، وإذا هو يصلى صلاة خاشع لله متبتل أواب ، وكان آخر عهدى به أنه ركب فى طريق الغواية رأسه ، وأقدم إقدام الفرس الشّموس ، نخبّ فى الضلال ووضع ، وأغار وأنجد ، ثم انتهى به الخبط إلى الهاوية ، فوقع (على أم رأسه) فى اشتهاء راقصة مشهورة ، وحسب هذا الاشتهاء حباً كالذى قرأ وصفه فى الروايات فصنع مثلما يصنع المحبّون : نسى عقله ودينه ، وجاد بقلبه وماله ، وعرفت منه الفاجرة هذه الحماقة ، فاستنزفت دم (جيبه) وماء قلبه ، ثم لم توصله إلى إربه ولم تمتعه بحبّه ... وكان له ضمير يناديه فأعرض عن نداء ضميره ، وكان له إخوان ينصحونه فسدّ أذنيه عن نصح إخوانه ، فلما يئسوا منه ومن صلاحه انصرفوا عنه وتركوه لنفسه وللراقصة ولإبليس ، ثم للمرض والفقر وجهنم !

... فلما رأيته فى المسجد عجبت وانتظرته حتى فرغ ، فأقبلت فسلمت عليه وسألته ، فقال : إن حديثى عجَب ، وإنى لا أحب أن أتحدث به فى بيت الله فتعال معى إلى بيتى تسمع حديثى ...

* * *

وحدثنى فقال :

إن الفضل علىّ فيما رأيت من توبتى لله ثم للشيخ صلاح الدين أحسن الله إليه ، فلقد هدانى الله به وهدى أقواماً بعد إذ كانوا ضالّين . ولقد عرفت رجالا شجعاناً أولى عزم وإقدام ، وسمعت أخبار العلماء الذين واجهوا الملوك بما يكرهون ، وأحاديث أهل الجراءة والصدْع بالحق ؛ ولا والله ما سمعت ولا عرفت بأجرأ من هذا الشيخ ، ولا أثبت منه جَناناً ...

قلت : إذَن صنع ماذا؟

قال : إذ وعظ فى المرقص ! أما سمعت الحكاية ؟ لقد استفاض خبرها وتناقلته الصحف ، وكان حديث السّوامر أياماً طوالاً ... وذلك أنه نظر فرأى طلاب العلم لا يزالون ينقصون ، ورأى الناس ينصرفون عن المساجد فلا يحضرها إلا الكهول والعجّز ، وما يحتاج هؤلاء الوعظ إنما يحتاجه الشباب . وسأل أين الشباب ؟ فأجلّوه عن أن يخبروه ، ثم قالوا : إن الشباب فى السينمات والمراقص ونوادى القمار ... قال : وما السينمات والمراقص ؟ لم يكن الشيخ يدرى ما هى ، ولم يكن يعرف من الدنيا إلا مسجده وداره ، ولا يسمع إلا حديث العلم ، وقال المصنف ، وذكر الشارح وعقّب عليه المحشى ...

قالوا : إن المراقص أبهاء واسعة تمتلىء بالناس وفى صدرها منصات عالية لها ستُر ترتفع وتنسدل ، يقوم عليها نسوة عاريات إلا من خِرَق لا تكاد تستر من أجسادهن شيئاً ، يقفزن ويلعبن ويحركن أيديهن وأرجلهن ...

قال : حسبكم ، حسبكم ! إنا لله وإنا إليه راجعون ! نساء يلعبن أمام أعين الرجال الأجانب ؟! ما ظننت أن مثل هذا يكون فى دار الإسلام ، قوموا بنا إلى المرقص !

قالوا : إلى المرقص يا مولانا ؟!

قال : نعم . نتّقى مثل لعنة داود وعيسى بن مريم ، ونغيّر هذا المنكر بألسنتنا إذ قد قعدت بالحكام رقّة دينهم عن أن يغيّروه بأيديهم .

قالوا : يامولانا ، إنهم يسخرون منا ويؤذوننا ، ولا يصغون لمقالنا .

قال : ما نحن بأفضل من الأنبياء ، وما نفوسنا بأكرم علينا من نفوسهم . ولقد سُخر منهم وأوذوا فى سبيل الله فما ضعفوا ولا استكانوا ، وإنما علينا البلاغ والهدى هدى الله .

قالوا : إن المدارس قد ابتدعوا فيها هذه الأيام بدعة جديدة من أخزى البدع وأرضاها لإبليس ، وهى أن تبرز البنات سافرات حاسرات فيلعبن أمام الرجال ، فلنبدأ بالمدارس قبل المراقص فإنهم سيقتلون فيها الأخلاق ، باسم الرياضة والصحة والفنّ !

قال الشيخ : بل نبدأ بالمراقص إن شاء الله .

فلما رأوا منه الجدّ والاصرار ، قالوا : أمهلنا يا مولانا حتى نعدّ لك مكاناً فيه تعظ منه الناس ..

وذهبوا إلى (مرقص أبي نواس) فسألوا صاحبه أن يؤجرهم المسرح ربع ساعة ما بين الفصلين ، ليجيء الشيخ فيعظ فيه الناس . فنظر الرجل فيهم لعله يبصر تحت معاطفهم المسروقة ثياب المستشفى التي فرّوا بها من (القصير(١)) وابتعد عنهم خشية أن تعاود أحدهم جِنَّته فيثب على عنقه فيخنقه أو يشج رأسه بحديدة يخفيها في كمّه ، ودعا أعواناً له لينقذوه من هؤلاء المجانين الذين يريدون أن يجيئوا بشيخهم ليعظ الناس على مسرح التياترو ... ولكن القوم قطعوا عليه ما هو فيه وجرّوه من رسَنه(٢) فانقاد ذليلا طيّعاً ، حتى عرضوا عليه في هـذا الـ (الربع من الساعة) نصف ما يكسبه في الليلة كلها ، وقبل منهم وشيّعهم إلى الباب ، ولكنه لم ينس أن يقبض المبلغ منهم قبل أن يغلقه دونهم .

وفرح الرجل بهذا الإعلان الجديد عن مرقصه ، وأمّل أن يغلب به (مرقص مطيع بن أياس) الذي يقوم إلى جنبه يزاحمه ويقاسمه قصّاده ، وانتظر أن (يمثل) الشيخ (مهزلة) تكون (رواية الموسم) ، وذهب فطبع (إعلانات) ضخمة عن (المفاجأة المدهشة) التي ستروع الناس ، وجاء الناس يرون هذه المفاجأة وما يقع في وهم أبعدهم خيالاً ، إلا إنها راقصة جديدة ، أو إنها رقصة مبتكرة ، وماذا يكون في المرقص إلا الرقص ؟!

وكنت تلك الليلة هناك ، ورقصت (فلانة) رقصة عبقرية مُبْدَعة عرضت فيها من فنونها وفتونها عجباً ما رأى الراؤون مثله ، وجَنَّنت الحاضرين حتى مايدرون من الفتنة مايصنعون ، وحتى دَميت الأكفّ من التصفيح والتصفيق ، وبحّت الحناجر من الهتاف والصراخ ، وأرخى الستار على الراقصة وهي أحبّ إلى كل واحد منهم من زوجه وولده ، وما واحد منهم إلا ويبذل في ساعة منها ماله وشرفه ودينه ، وجعلوا ينادون باسمها ، يريدون أن يمتعوا أبصارهم برؤيتها كرّة أخرى ، فلما تمادى غيابها أقبلوا يرددون اسمها في إلحاح واتصال ، ويقرعون الأرض بأقدامهم فعل الصبيان ، وروّاد الملاهي . لهم عقول كعقول الصبيان ، فارتفع الستار ونظروا ...

نظروا فاذا هم يرون مكان ذلك الجسم الحبيب المشتهى ، وذلك العُرْي المغري الفتان ، شيخاً جالساً بعمامته ولحيته وجبته ، شيخاً حقيقياً لا تمثالا مكسواً ثياب المشايخ ، ولا شيخاً مزوّراً من شيوخ (التمثيل) !

وبدأ الشيخ درسه بحمد الله والصلاة على رسول الله ؛ وربطت الدهشة ألسنة الحاضرين لحظة ، فكانت سكتة شاملة ، ثم صحوا فجأة ، فكان الانفجار ...

* * *

إن كل محاولة لوصف هذا الانفجار إنما هي إفساد وتشويه لصورته في نفس السامع ، وإنك تعرف هؤلاء الناس وإن فيهم كل ماجن خبيث ، وجبار فاجر ، وفيهم السكران وفيهم الحشاش ، وقد جاءهم هذا الشيخ في الساعة التي اكتملت فيها نشوتهم ، وطَمَتْ (براح الراقصة) سكرتهم ، ليتلو عليهم حديث التقى والصلاح من فوق منصة الرقص ، وليقول لهم دعوا هذه المرأة فانها رجس ، وغضوا عنها أبصاركم فانها عورة ، وانصرفوا عن هذه النقمة فانها دار دنس وإثم ، وقد طلع عليهم وهم يرتقبون طلعة الغادة العارية المِغْناج ... فتصور ما ذا يكون منهم !

لقد صفّروا له وسخروا ، ورموه بكل قبيح في القول ، وسألوه أن يتجرد فيرقص لهم ويريهم غُنجه ، وعرضوا عليه كؤوس الخمر مترعة ، وهو ماضٍ في كلامه كأنما هؤلاء ذباب يحوم حوله من بعيد ، بل إن الرجل ليحفل بالذباب وهو لم يحفلهم ولم يبال بهم . وتعب الشاغبون وملّ الساخرون ، وكان في القوم من يعرف الشيخ ، فصاحوا بهم أن اسكتوا ويلكم نسمع ما يقول ، وكانت سكتة أخرى ، وهي كل ما كان يتمنى الشيخ فتمكن فيها من آذانهم ونفذ إلى قلوبهم ، فأصغوا ثم اطمأنوا ، ثم خشعوا ، ثم انقادوا إليه وتعلقوا به ، وحلّ من قلوبهم محل (تلك) ، ولكن حبّهم إياها كان حباً سفلياً ، وهذا حبّ طاهر مقدس ... فلما انتهى كلامه ، وقام ليخرج ، قاموا معه وخرجوا وراءه ، وتركوا المرقص لصاحبه وللشيطان ... ولازمته أنا من ذلك اليوم كما لازمه كثير ممن كان هناك ...

قلت : ألم تحفظ شيئاً من كلامه ؟

(١) القصير ظاهر بلدة دوما على بعد « ١٤ » كيلو من دمشق وفيه مستشفى الأمراض العقلية .

(٢) الرسن : الزمام من عامي الشام الفصيح .

الإنسان ، هذا المجهول ..

الدوافع البيولوجية وأثرها (*)

للأستاذ فؤاد عوض واصف

كانت ظاهرة التقليد التي قال بها العلامة تارد في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، هي التفسير الوحيد عند علماء الاجتماع للحياة الاجتماعية ؛ فظهور فرد قوى أو قائد شجاع أو مشرع كبير في مجتمع ما يمكن من خلق عرف جديد ينتشر بين الناس انتشار النار في الهشيم . ذلك لأن الناس على دين ملوكهم وحكامهم وقادتهم ، يقلدون تقليداً أعشى كل ما يبتدعه رعاتهم [1] ، ولقد ملك تارد بتفسيره هذا عقول العلماء ردحاً كبيراً من الزمن إلى أن ظهر العلامة الأمريكي الأشهر ماكدوجل ، فطلع علينا بتفسير جديد هو على خلاف فيه مع نظرية تارد ، وقد عرفت نظرية تارد بنظرية الدوافع . ولئن كانت معرفتنا بالدوافع قديمة قدم أرسطو ، فإن الاهتمام بها لم يبلغ الحد المظيم الذى بلغته بعد أبحاث ماكدوجل . لقد كشف لنا ماكدوجل في أبحاثه عن أثر الدوافع البيولوجية في الإنسان وأسرارها المظيمة ونتائجها المديدة ، حتى لقد رد الحياة الاجتماعية كلها إلى هذه الدوافع البيولوجية الكامنة في الإنسان ، ومن هنا كان أن عرف بأبى علم النفس الاجتماعي .

وقد كان من أثر أبحاث ماكدوجل في الدوافع أن ظهرت في معامل علم النفس مقاييس لقياس الحوافز والدوافع بطريقة دقيقة كل الدقة حتى لقد مكنتنا من معرفة درجات القوة والضعف في الدوافع العضوية الداخلية معرفة يسرت لنا تفسير أنواع الانحرافات النفسية والجنسية والاجتماعية أيضاً ؛ فالسلوك الإنساني يرد في النهاية إلى الدوافع الداخلية ، كما هو الحال مثلا في سن البلوغ ، إذ يشاهد أن تولد الميل الجنسي ناتج عن دافع عضوى ، وهذا الميل الجنسي يقترن بتغيرات في الهيئة والسلوك ، فيميل البالغ إلى الحياة الخيالية كما هو معروف في الحب الصبياني .

ويمكن تعريف الدافع العضوى بقولنا « هو كل حافز يدفع إلى فعل يتحول بالتحليل إلى حالة تنبيه ، تثير الفرد وتدفعه إلى سلوك ما عن طريق مجموعات خاصة من العقد العصبية !!

ومن أهم الدوافع الداخلية ، إفرازات الغدد الصماء التي تثير النزعات والميول والرغبات ، وتحمل الشخص أن يقوم بحركة وأن يسعى نحو تحقيق الميل وإشباعه بطريقة أشبه بأن تكون آلية جبرية .

ولكل دافع من الدوافع العضوية الداخلية استجابات خاصة به تختلف من دافع إلى آخر ، فلدافع الجوع والعطش استجابات تختلف عن استجابات الدافع الجنسي مثلا .

والدافع الجنسي من أمثلة الدوافع الكيميائية التي تتمثل في إفرازات غدد خاصة موجودة في الإنسان . وكل أنواع الاستجابات والسلوك الجنسي هو نتيجة ترد في النهاية إفراز الغدد التناسلية . فقد أثبتت التجارب العديدة أن عملية استئصال الإفراز الجنسي من الخصيتين Testes أو المبيض Ovaries يقضى على الميل الجنسي ، في حين أن تجديد هذا الإفراز يعيد الميل الجنسي إلى حالته الطبيعية ؛ فكأن الاختلاف بين الذكر والأنثى في

(*) شرح نظرية التقليد في بحثنا في الرسالة عدد ٦٣٣

قال : هيهات ! إنه تكلم بكلام علوى ، كنا نحس به ينصب في القلوب انصباباً تتشربه وتتسامى إليه ، وما زال يقول وهى ترتفع حتى خلصت من هذه الحمأة الدنسة التي كانت غارقة فيها ، إلى الفضاء الأرحب وإلى الجو الطهور . إنه لم يتكلم كما أتكلم أنا وأنت ، ولا كما كان (هو) يتكلم ، فقد سمعته قبل ذلك اليوم ، فما سمعت منه مثل هذا ، وإنى لأظن أن ملكا نطق بلسانه فمن هنالك خرج الكلام نورانياً سماوياً .

قلت : مثل ماذا ؟

قال : أنا رجل عامى ، فاذا أعدته عليك لم آت به من ذهنى الكليل إلا أرضياً منطفئاً ، كالشهاب المنير إذا روته الأرض لم يكن على لسانها إلا صخرة باردة جامدة ... أفتحب أن أرد عليك ماحفظت منه من ذهنى أنا لا من ذهنه ، وبلسانى لا بلسانه ؟

قلت : نعم .

قال : إن مما حفظت منه قوله ...

(البقية تأتى) **على الطنطاوى**

السلوك الجنسي يرد إلى اختلاف الغدد فحسب؛ والرجل والمرأة لا يختلفان في تكوينهما، وما السمات المميزة لكل منهما إلا أثر بل استجابة لإفراز معين تفرزه غدة تناسلية تختلف في الذكر عنها في الأنثى. وإنه لمن السهل علينا الآن أن نجعل من الدجاجة ديكا، ومن الديك دجاجة تقريباً، وذلك بعملية استئصال غددى فتتحول الدجاجة إلى ديك وتفقد كل سماتها الأولى وتصبح ذات عرف يأخذ في النمو، وينقلب سلوكها ولا يمكن تمييزها في النهاية من ديك آخر. وكذلك الحال إذا أردنا أن نجعل من الديك دجاجة فما علينا إلا استئصال الخصيتين فيفقد الديك عرفه ويتسم بكل سمات الدجاجة وسلوكها.

ولا يقتصر تأثير الدافع العضوي على الهيئة والتكوين الفسيولوجي فقط، بل أيضاً في اتجاه السلوك والأخلاق؛ ويمكن أن نوضح هذا جيداً بحالة بعض الأفراد الذين يتأخرون في بلوغهم Prematureg؛ نجد الواحد منهم في سن العشرين مثلا وكل مظاهر الرجولة معدومة فيه لا في المظاهر الفسيولوجية فحسب، بل أيضاً في السمات الخلقية، ففيه نجد حياء الأنثى وخوفها ومرونتها وما إلى ذلك. فإذا عولج هذا الشخص المتأخر في بلوغه بواسطة خلاصة الخصيتين Drcbic supstances لا يلبث بعد مدة يطول زمنها أو يقصر، حسب حدة الحالة، أو يصبح وقد ظهرت عليه سمات مختلفة عن ذي قبل، فيرتفع صوته ويتضاعف نشاطه ويزول الخجل منه والخوف وما إلى ذلك من مظاهر الأنوثة الأخلاقية، ويتولد فيه الميل الجنسي. ومن هنا يظهر لنا، أن سمات الرجولة والأنوثة سواء كان ذلك من الناحية الفسيولوجية أو الخلقية إنما يرد في النهاية إلى الدافع الكيميائي وهو إفراز الغدد التناسلية.

والآن إذا أردنا أن نحصي الدوافع في الإنسان بسائر أنواعها فإننا سنجدها من الكثرة بحيث يصعب معها العد والحد؛ فإن دافعاً كدافع الجوع العضوي قد يبدو بسيطا مع أنه مركب من عدة دوافع: فالحاجة إلى الأكل، تتضمن الحاجة إلى موالح ونشويات ودهنيات الخ، ودافع العطش ليس هو الحاجة إلى الماء فحسب؛ لأننا إذا أعطينا عاملا مجهدا في يوم قائظ ماء ساخنا ليرتوي، فإنه بذلك لن يرضى دافع العطش، لأن الحاجة هنا تتضمن غير الماء، درجة خاصة من الحرارة وغيرها. ومن هذا يبدو أن دافعاً واحداً كدافع الجوع أو العطش يتضمن في ذاته عدة دوافع. من أجل ذلك فإن إحصاء عاماً للدوافع كما أراده دبكارت وهوبز يعد ضربا من المستحيل، إذ أن الحاجات تتعدد، وبالتالي تتعدد الدوافع المولدة لهذه الحاجات. وعمل الدوافع في الإنسان يقترن بتغيرات كيميائية وعضوية في جميع أنحاء الجسم حتى في البشرة. ويظهر ذلك بوضوح في حالة الحب مثلا الذي هو إرضاء للدافع الجنسي. وتعمل الدوافع على أن تلائم بين الإنسان والطبيعة، فقد يبدو أن لون البشرة السوداء عند زنوج المناطق الاستوائية ناتج في الأصل عن تأثير حرارة الشمس المحرقة، مع أنها نتيجة لأفعال منعكسة قامت بها خلايا البشرة لإرضاء دافع الحاجة إلى درجة حرارة مناسبة للجسم؛ فليست الحرارة هي التي تحرق البشرة، لكونها حرارة، بل هي تقوم فقط مقام الباعث لاستجابات ناتجة عن دوافع وحاجات، أعني في هذه الحالة أن هنالك دافعا في الإنسان قد اقتضى تغيرات فسيولوجية حتى يتم التوافق بين الإنسان في نزوعه إلى الحياة وبين الطبيعة الخارجية عنه.

ونريد هنا أن نلفت النظر إلى أنه في كثير من الأحوال يكون المنبه الخارجي هو المحرك للدافع إذا كان في حالة كمون. فإذا كنت في وقت ما جائعاً وكان دافع الجوع في كمون لانشغالي بأفكار وخواطر، فإن الساعات تمر بدون أن يتعدى الدافع العضوي حدود الشعور؛ فإذا فرضت أن رائحة شهية لطعام قد وصلتني وشغلت شعوري برهة من الزمن، كان هذا المنبه كافياً لتحويل الحاجة إلى الطعام من حالة الكمون إلى حالة النشاط أي إلى رغبة، وكذلك الحال فيما يختص بالدوافع الأخرى.

وقد سبق أن ذكرنا أن إحصاء عاماً للدوافع ضرب من المستحيل ولكن يمكن أن نقسم الدوافع إلى أنواع أربعة:

١ — دوافع عضوية: كدافع الجوع والعطش الخ ...

٢ — دوافع كيميائية: كالدافع الجنسي ودافع التعب. هو عبارة عن بعض السموم تكونت في دم الإنسان فأوجدت فيه حالة التعب. والذي يثبت لنا أن التعب ومظاهره ليس نتيجة مباشرة لمجهودات عضلية التجربة التي قام بها عالم نفساني كبير. وتتلخص في أنه حقن كلبا لم يقم بأية عملية إجهادية بدم كلب

ظل طوال اليوم يرافق سيده فى الصيد ، فكانت النتيجة أن ظهرت فى الكلب السليم كل مظاهر التعب والإنهاك الموجودة فى الكلب المتعب . فكأن التعب ومظاهره نتيجة لعامل كيميائى موجود فى الدم وهو سموم أشبه ما تكون بالسموم المعروفة ، ومن هذا يبدو أن التعب ومظاهره استجابة لدافع كيميائى موجود فى الدم .

٣ — دوافع نشاط « Activity Drives » وتكون ذات استجابات مناسبة تتلاءم مع ما يحيط بالإنسان من ظروف .

٤ — دوافع الجمال : مثل أن تظهر فى استجابة الطفل الصغير لما يحيطه من ألوان وموسيقى ذات مقاطع ، تجذبه إلى أن يسلك سلوكا معينا ، هو استجابة ساذجة لما يحيط به من جمال . كذلك الحال فى البالغين . لقد ركب فينا دافع الجمال ، لعله الروح تنزع إلى الجمال وتستجيب له كما ينزع الأليف إلى أليفه ويستجيب له . وفى السجون الحديثة يعالج المجرم بسماع الموسيقى وبإحاطته بألوان من الجمال تستجيب لها نفسه فيبعث بعثا ويعود إنسانا .

لقد ذكرنا من الدوافع ما هو عضوى و كيميائى ونشاطى وجمالى ؛ بقى نوع خامس من الدوافع يستجيب للمؤثرات الفجائية العنيفة كالخوف والغضب والبغض والعار . وتسمى هذه المجموعة من الدوافع بالإنفعال Motion .

والدراسات العلمية الكثيرة فى مجال علم النفس المقارن ، حققت لنا وجود ظاهرة الإنفعال عند الكثير من الحيوانات ، مع ملاحظة خاصة ، وهى أن الإنسان كثيراً ما يخضع انفعالاته ويوجهها توجيهاً خاصاً ، فى حين أن الحيوان ينفعل فلا يكاد يملك أسباب التوجيه أو اخفاء انفعالاته .

وقد قامت مشكلة كبيرة فى علم النفس خاصة بالإنفعال وتتلخص فى هذا السؤال : هل انفعل أولا ثم اضطرب أم اضطرب أولا ثم انفعل ؟ والرأى الصحيح عند وليم جيمس هو أن الإنسان يضطرب أولا ثم ينفعل ، أعنى أن الإنفعال فى ذاته هو نتيجة لاضطرابات عضوية وكيميائية فى جسم الإنسان . ففى حالة الخوف مثلا ، تحدث فى داخل الجسم افرازات عضوية معينة ، تكون نتيجتها ظهور سمات الخوف على الإنسان . وبكلمة مختصرة ، الإنفعال فى أساسه فسيولوجى قبل أن يكون نفسانيا .

وهنالك ثلاثة أنواع من الانفعالات الأولية فى الإنسان وهى الخوف والغضب والحب . والظواهر المختلفة التى تبدو على الإنسان نتيجة لهذه الانفعالات نتيجة لإفرازات معينة فى الغدد الصماء بتأثير الجهاز العصبى .

أما انفعال الخوف فينتج شعوراً زديئا ؛ فبالإضافة إلى ما يثيره من الاضطراب فى بعض أجهزة الجسم كما يكون الحال فى سرعة دقات القلب والتنفس السريع ، بالإضافة إلى ذلك يكون للخوف طابع خاص يظهر فى امتقاع الوجه واضطراب الفاصل والأطراف وقفوف شعر الرأس ... الخ ... وللغضب مظاهره الخاصة كذلك وهى فى جلها أقل عنفاً من مظاهر الخوف ، وفى حين تكون نتيجة الخوف تقهقرا تكون نتيجة الغضب تقدما واندفاعا . أما الحب فهو أحد الانفعالات الأولية التى تحدث شعوراً طيبا محببا . والذين جعلوا للحب مركزاً خاصا فى القلب لم يبتعدوا كثيرا عن الحقيقة . فانفعال الحب فى الواقع يتركز أثره فى جهة ما فوق القلب نتيجة لتأثر الدورة الدموية بباعث الحب وما يثيره فى الدورة من نشاط . وللحب طابعه الخاص ، يظهر فى ابتسامة الفم وإشراق الوجه ، ولعل أروع صورة ساذجة لطابع الحب الجميل ، تظهر فى محيا الطفل الصغير وهو يرنو إلى أمه .

***

هذه المعرفة الخاصة بالدوافع ، قادتنا إليها دراستنا للحيوانات العليا وللطفل وللانسان البدائى .

وإن دراستنا للانسان البدائى الساذج ، تجعلنا نقف أمام صورة كائن يمضى أغلب وقته فى الأكل والشرب مبتعدا عن الأصوات المزعجة والحرارة اللافحة ، يجرى ويقفز ، يصيح وينصت ويتأمل ويشاهد أنه مدفوع إلى النشاط بما يمسه الكون المحيط به ؛ قد يجد لذة فى أن يداعب كلبه أوفى أن يقفز على شجرة ، كل هذه الاستجابات تتولد من الكون الفسيح وما يمسه من مؤثرات ومنبهات . وإنه لمن الانصاف أن نقرر ما ذكره ثورنديك من أن قائمة الدوافع التى قال بها ديكارت وهوبز لا تصور الحقيقة ، فإن الدوافع فى الانسان والحيوان من الكثرة بحيث يختلط بعضها ببعض ، وإن حيل الحيوان وحتى

أبسطها فى السعى لرزقه ، تجعلنا نقرر بأن احصاء عاما للدوافع ضرب من المستحيل .

* * *

هذه هى الدوافع ، وهذا موضوعها . والانسان فى سعيه إلى رزقه وفى سعيه إلى الحياة ، إنما يستجيب إلى الدوافع التى ركبت فيه تركيبا . ولو شئنا التطرف لقلنا مع ميرفى Murphy ونيوكب Neucomb ، إن الانسان ليس شيئا آخر غير الدوافع التى ركبت فيه وجاءته عن طريق الوراثة ، ومن هنا يكون الانسان فى هيئته وجنسه وسلوكه الأخلاقى ، مدفوعاً بدوافع داخلية لا قبل له بردها . فالحب تبعاً لهذا ليس إلا استجابة لإفراز الغدد الصماء ، والاجرام فى بعض الأفراد ليس إلا استجابة طبيعية لتكوين المجرم الجسمانى الذى أتاه عن طريق الوراثة .

إن الدوافع الداخلية فى الانسان هى التفسير الوحيد لحياته الجسمية والأخلاقية . ومن هنا لا يكون الانسان مخيرا بل مسيرا ولا يكون للتربية مجال كبير أو صغير فى توجيهه وتهذيبه .

وهكذا يذهب ميرفى ونيوكب ومعهما جمهرة من العلماء ، ويقولون بنوع من القدرية Fatalism فى تقرير الكائن الحى ، إن كان سيولد إنساناً أم فأراً أم عصفوراً ، إن كان سيولد بمنقار أو بشفتين ، بأربع أرجل أم برجلين . فاختلاف الكائنات الحية عندهم نتيجة لاختلاف الدوافع التى وهبت للكائن الحى قضاء وقدراً . وكذلك الحال عندهم فى اختلاف الأفراد بعضهم عن بعض ، فليس هذا إلا نتيجة لاختلاف الدوافع فحسب . ولئن زعم الناس بمرونة الإنسان وقبوله للتشكل والإصلاح ، فلينظروا إلى هذا الاختلاف البين بين الأفراد بعضهم وبعض فى نموذج كل مجتمع. أجل إن هذا الاختلاف لكثير ، ومجموعة من الكلاب الصغيرة يمكن أن ترمز إليه كما ترمز إليه مجموعة من الأطفال فى معهد خاص .

ليست هنالك إذن مرونة فى الإنسان أو قابلية للتشكل فى نظر تلك الفئة من العلماء ، فالإنسان يستجيب للمؤثرات المحيطة به كما يستجيب لها الحيوان .

وكذلك يذهب أيضاً العلامة لمبروزو Lombrozo أستاذ القانون الجنائى فى جامعة روما ؛ فهو يرى أن الجريمة فرع من القضاء والقدر لا دخل لحرية الإنسان فيه ؛ فالمجرم يولد مجرماً بالطبيعة Ciminel par naturc وإنه لمن التعسف أن يعاقب المجرم عن شىء لايملك فيه اختياراً أو مشيئة . وليس فى الإمكان إصلاح مجرم ولد هكذا ولا تجدى فيه التربية أوالتوجيه الحسن .

وقد خصص لمبروزو لشرح نظريته كتابين شهيرين هما : كتاب الرجل المجرم L' homme criminel ، والمرأة المجرمة La fcmme criminel ، فاللص عند لمبروزو ذو تكوين خاص فى هيئته وكذلك سائر المجرمين ، وما الجريمة إلا استجابة لتكوينهم العضوى الناقص الذى جاءهم عن طريق الوراثة . وكثير من اتجاهات علم النفس الجنائى إلى يومنا هذا تستلهم موضوعاتها من بحوث لمبروزو .

ولكن البحوث التى قام بها علماء الأحياء منذ ربع قرن فى موضوع الوراثة وكذلك علماء السلوك الإنسانى ، وخاصة فى دراساتهم لأنواع الشذوذ والانحرافات ، أدت إلى الإقلال من حتمية الوراثة ، وأثبتت مرونة الإنسان وقابليته للتشكل والاصلاح ، فسلوك الإنسان قابل للتغير والتحسن ، ويتوقف نجاح التربية إلى حد كبير على إحكام طرقها وإتقان أساليبها .

ليس الإنسان إذن أسير وراثة أو تكوين عضوى خاص كما كان شائعاً من قبل ، بل إنه يملك إلى حد كبير أسباب التغير والإصلاح . لا يوجد هنالك ما يسمى طبيعة مجرمة فى النفس الإنسانية ؛ بل على العكس من ذلك ، إن طبيعة النفس الانسانية كما يقول كانت خير وكل الخير ، وإنما هنالك نفوس مريضة تدافع عن توازنها الاجتماعى، فتضل فى المعترك عن الطريق السوى .

إن للدوافع فى الإنسان كما سبق وذكرنا شأناً كبيرا ، ولكنها فى الإنسان غيرها فى الحيوان . لا ، بل إن الحيوان نفسه قابل للترويض وللائتلاف ، فكم يكون الحال فى الإنسان وفيه من نور الله قبس ! أوليس فيما وصل إليه علم التربية والنفس أكبر الدليل على مرونة الإنسان وعلى كونه يختلف إختلافا بينا عن سائر الكائنات بما وهبه الله من عقل يفكر ويتذكر ؟ إذا فللدوافع فى الإنسان شأن كبير ولكنه أقل من أن يجعل الإنسان مسيرا لا مخيرا .

فؤاد عوضه واصف

ليسانسيه فى العلوم الفلسفية

الشرق كما يراه الغرب :

الصــين الجديدة

للأستاذ أحمد أبو زيد

إن أول ما يتبادر إلى ذهن الإنسان حين يذكر اسم الصين هو ذلك الجمود الذى ران عليها طويلا دون بقية أمم العالم ، حتى صارت بذلك رمزا على التأخر والتخلف والمحافظة على القديم وعلى كل ما هو ثابت راسخ لا يكاد يتحرك ولا يتغير ولا يتطور . ولقد كان للصين فى يوم ما حضارة تعتبر من أقدم وأرقى الحضارات التى عرفها الإنسان ، ولكن الصين اليوم تأتى فى ذيل الأمم المتحضرة المتمدينة .

ومع أن الناس جميعا يعرفون عن الصين ذلك ، إلا أنهم لا يكادون يعرفون عنها شيئا صحيحا عدا ذلك ؛ وقد ساعد على هذا الجهل بالصين وبحياتها وبعادات أهلها بعدها النائى وشبه العزلة التى تعيش فيها ، وبعد الشيء قد يكون سببا كافيا للجهل به . ولكن الصين مع ذلك كتب عنها الشيء الكثير ، ولكن كثيرا مما كتب بعيد كل البعد عن الحقيقة ...

إن معظم الذين يكتبون عن الشرق من الأوربيين قليلا ما يتوخون الحقيقة والواقع ، وكثيرا ما يصدرون فيما يكتبون عن بعض أهواء وشهوات فى نفوسهم يريدون إرضاءها ويظهرون الشرق على غير ما هو عليه ، بل وحتى إذا كانوا منزهين عن تلك الأهواء والشهوات فقليلا ما تكون كتاباتهم صادرة عن الفهم العميق الصحيح لما يرون أمامهم ؛ لذلك قلما نجد كتابا يتناول مسائل الشرق وحياته بدقة وصدق وفهم على الرغم من كثرة ما كتب عن الشرق وحياته .

ومن تلك الكتب الدقيقة القليلة كتاب عن الصين ظهر تحت عنوان : « الصينيون The Chinese » ، وكتبته سيدة تدعى وينفريد جالبريث winifred Galbraith أمضت فترة طويلة من حياتها بالصين ؛ فقد نزحت إلى هناك من إنجلترا بعيد الحرب الكبرى الماضية واشتغلت بالتعلم فى مدارس الصين ، ولا تزال تعيش هناك حتى الآن ، أو على الأقل حين أصدرت كتابها فى عام ١٩٤٢ . ولا شك أن طول الفترة التى أمضتها فى الصين ، وطبيعة العمل الذى زاولته هناك ، قد أتاحا لها فرصا طيبة للوقوف على خصائص الحياة الصينية وأسرارها قلما تتاح للكثيرين . وعلى ذلك نستطيع أن نقول مطمئنين آمنين إن ذلك الكتاب صدر عن فهم عميق للصين وطبيعتها وشئونها المختلفة ، كما نستطيع — من قراءته — أن نلمس بوضوح النزاهة والدقة والتجرد عن الغرض التى لازمت المؤلفة فى كتابته ... والكتاب على لطافة حجمه يتناول كثيرا من المسائل ، فيعرض لتاريخ الحضارة الصينية كما يتناول آداب الصين وفنونها وقيم الحياة اليومية فيها ونظم الحكم بها وغير ذلك من المسائل . ولم تنس المؤلفة زيادة على ذلك أن تبين لنا ما يختلج فى صدور أهل الصين من آمال وأمانى فى المستقبل وما يرجون لبلادهم من حياة جديدة زاهرة تنافر ماضيهم وحاضرهم ، وإن لم تقطع الصلة بهما تماما .

ولا تشك المؤلفة فى أن الصين الجامدة الخامدة أخذت تفيق من سباتها العميق الطويل من أوائل هذا القرن ، وأن قيام الحرب الصينية اليابانية قد ساعد على هذه اليقظة ، بل ولعلها تكون المسئولة الأولى عنها ، فأخذت تنفض عن نفسها ذلك الخمول الذى ضرب عليها ، أو الذى ضربته بنفسها على نفسها ، وتتجه نحو حياة أخرى ، وتنتحل أساليب جديدة سواء فى الصناعة أو الفكر أو السياسة تختلف أشد الاختلاف عن تلك الأساليب العتيقة البالية . ولكن ينبغى مع ذلك ألا نغفل عن حقيقة واضحة جلية ، وهى أن ذلك التطور لا يتم فى الصين إلا ببطء شديد وبصعوبة شديدة بحيث لا يكاد الإنسان يدرك لأول وهلة أن هناك حياة جديدة أخذت تدب فى أوصالها الميتة ؛ ذلك لأن حياة الصين لا تقوم فى الواقع على مجرد بعض قوانين وضعية أو قواعد رسمها من بيدهم مقاليد الحكم ويأخذون الناس بتنفيذها ، إنما تقوم حياة الصين على قيم أساسية عامة

متغلغلة فى أعماق النفوس تستمد منها قوتها وسطوتها ، بحيث لو انعدمت كل سلطة فى الصين ولم تصبح ثمت أى هيئة حاكمة فيها لظلت الصين مع ذلك قائمة على ما هى عليه ، ولاستمرت تلك القيم الأساسية تعمل عملها فى حياة الناس والبلد وتحفظ عليهم طابعهم التقليدى القديم الذى يتعارض مع كل ما هو جديد .

ولا ريب فى أن الأمة التى تريد أن ترقى وأن تصل إلى غاية بعيدة من الكمال والرفعة لن يتسنى لها ذلك ما لم تسر أولا تحت قيادة موحدة تخضع كلها لها ، وما لم تختف منها العوامل الانفصالية والنزعات الشخصية التى من شأنها تمزيق الدولة أقساما وشيما . وقد كانت الصين فى معظم تاريخها دولة واسعة ممزقة منقسمة إلى مقاطعات وحكومات متفرقة تستقل كل منها عن الأخرى تماما ، ولم يكن الرجل الصينى العادى يعرف من وطنه إلا حدود قريته أو مدينته أو على الأكثر المقاطعة التى ولد ونشأ وتربى فيها ، ولم يكن يعرف أنه فرد فى وطن أوسع وأعظم من ذلك كله ، وأن وراء تلك الحدود الضيقة التى نشأ فيها ملايين أخرى من الناس ينتمون جميعا إلى نفس الوطن الذى ينتمى إليه ؛ ولذا كان الرجل من الشمال إذا اجتمع برجل من الجنوب لا يعرف إلا أنه من الشمال وأن صاحبه من الجنوب دون أن يحس الصلة الوثقى التى تربط بينهما . وقد ساعد على ذلك أن الصينى مغلق على نفسه ، ولا يحب الهجرة ولا السفر ولا الانتقال كمعظم الشرقيين ، فهو يفضل الاستكانة والالتصاق بالبقعة التى وجد نفسه فيها . وقد نشأ عن ذلك تعدد كبير فى اللهجات المحلية واختلاف عظيم بينها بحيث إن الرجل من إحدى المقاطعات لا يكاد يفهم اللهجة التى يتكلم بها غيره من مقاطعة أخرى . وكان ذلك كله عاملا على ظهور الحركات الانفصالية وخاصة فى أطراف الصين البعيدة . ومن هنا كان كثير من الكتاب يظنون أن الصين لا يمكن أن تعيش كدولة موحدة ما لم تخضع للحكم الأجنبى . وقد يكون لهؤلاء الكتاب العذر كل العذر فيما يذهبون إليه ، إلا أن السيدة جالبريت ترى أن ذلك كله أخذ يزول شيئا فشيئا ، وأخذ الشعور القوى يزداد بين الناس وخاصة بعد الغزو الياباني ؛ فقد شعر الصينيون جميعا أن أرضا عزيزة عليهم أخذ العدو يغتصبها منهم ، فقاموا جميعا يشتركون فى الدفاع عنها ضد الغاصبين . وهكذا اختفت كل النزعات الانفصالية أمام الخطر المشترك ، وأخذ الصينيون يحسون أنهم أبناء وطن واحد وأرض واحدة . وقد ساعد على ذلك حركات الهجرة من المناطق المحتلة أو المعرضة للغزو إلى الداخل ، فقد عمل ذلك على تقريب اللهجات المتباينة ، وأصبحنا نجد على ما تقول المؤلفة : « فى غرب الصين ما لا يقل عن أربعة عشر صنفاً من الناس نزحوا من مناطق ومقاطعات مختلفة يعيشون جميعاً عيشة واحدة ، ويأكلون طعاماً واحداً ، وينشدون أغانى وأهازيج واحدة انتشرت فى أرجاء الصين جميعاً ، وذلك ما لم يكن له وجود من قبل » . ومع أن الوحدة فى العادات لم تتبلور تماماً حتى الآن ، ومع أن الاختلاف بين تقاليد كل فريق لا يزال اختلافاً قوياً صارخاً ، إلا أن جالبريت ترى أن كل ذلك يسير فى طريق الاندماج شيئاً فشيئاً ولكن بقوة ، بحيث لا يتأخر اليوم الذى تصطبغ فيه الصين من أقصاها إلى أقصاها بصبغة واحدة من العادات والتقاليد .

وقد أخذت الصين تتجه منذ بداية هذا القرن على الخصوص نحو الحضارة الأوربية ، واعتنقت الكثير من مظاهرها المادية ، ولكن تلك المظاهر المادية لم تصل فى الواقع إلا إلى الطبقات العليا فقط من السكان فى المدن الكبرى وفى الأطراف الخارجية ، ولم تفلح فى التغلغل قليلا ولا كثيراً إلى داخل الصين ذاتها ، أو إلى طبقات الشعب الفقيرة من سكان الريف ومن الفلاحين والعمال ، وهم يمثلون الغالبية العظمى من السكان . وقد كان لذلك — ولا ريب — أسوأ الأثر فى المجتمع الصينى ، إذ ساعد على توسيع الهوة التى تفصل بين مختلف الطبقات ، كما ساعد بالتالى على إضعاف قوة التماسك الاجتماعى فى الصين . ولكن الحرب الصينية اليابانية قللت أيضاً من ذلك الأثر حتى كادت تمحوه ؛ فقد أصبح من العسير — نتيجة للحرب — على المنتجات الأوربية أن تصل إلى الصين ؛ والقليل النادر الذى يصل إلى هناك يباع بأسعار خيالية لا تصدق ولا يكاد يقوى على شرائها إلا فئة قليلة

جداً من الناس ؛ وكانت نتيجة ذلك كله أن أخذ الناس ينصرفون عن ذلك النوع من الحياة المادية المترفة التي قبسوها عن أوربا ، ويعتاضون عنها تدريجياً بالإنتاج المحلي البدائي ؛ وبذلك عاد أهل الصين جميعاً إلى أساليب حياتهم القديمة ، واشتد تبعاً لذلك التقارب بين مختلف الطبقات عما كان عليه . وقد يبدو ذلك الرجوع إلى القديم نكسة أصابت الصين في تطورها ورقيها ، ولكن السيدة المؤلفة ترى عكس ذلك ، فهي تعتقد أن الرقي الحقيقي هو في تماسك الشعب وتقارب طبقاته قبل كل شيء ، ثم رقيه كله معاً مرة واحدة .

* * *

وفي الصين الآن اتجاه قوي يرمي إلى الأخذ بنظم الحكم الديمقراطي ؛ ولكن هذا النظام لم يتحقق بعد ، ولا ينتظر أن يتحقق كاملا في الوقت الحاضر على الأقل ، كما أن من الصعب على الإنسان أن يتكهن بطبيعته في صورته الأخيرة ، وإن كانت كل الدلائل تدل على أنه لن يكون نظاماً نيابياً ديمقراطياً بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون . ويقف دون تحقيق النظام الديمقراطي الأوربي اتساع مساحة الصين وترامي أطرافها بشكل غير معهود في بقية الديمقراطيات الأخرى . ولاشك في أن من أصعب الأمور على شعب حديث عهد بالنظم النيابية أن يحقق ذلك النظم تحقيقاً كاملا في دولة في مثل حجم الصين . وقد حاول الدكتور صن أن يؤلف مجلساً نيابياً للصين ، ولكن ذلك المجلس لم يقدر له الاجتماع قط ، ولكنه حين يتم تأليفه ، فسوف يكون مكوناً من ١٦٨١ من النواب ، منهم ٣٩٥ نائباً تعينهم الدولة . ويبدو أن الانتخابات في الصين لن تكون من درجة واحدة كما هو الحال في الديمقراطيات الأوربية ، بل سوف يجتمع رؤساء كل مائة أسرة معاً وينتخبون من ينوب عنهم ؛ وبذلك سوف يكون نظام الحكم في الصين مزيجاً من الديمقراطية والبطريركية التي تسود الصين الآن . ومن الدلائل التي تبشر بقيام الحكم النيابي في الصين وجود مجلس الشعب السياسي هناك Peohle's Political Council ، وهو يتألف من مائتي عضو من الرجال والنساء ، وكلهم معينون . وهم يمثلون كثيراً من مدارس الفكر والمهن والأعمال المختلفة ؛ وقد أبدى المجلس براعة كبيرة في مناقشة وبحث أمهات المسائل التي عرضت عليه ، ولكن يقلل من أهميته أنه لا يعد مسئولا أمام الشعب .

وهناك عامل آخر تظن السيدة جالبريث أنه سيكون له شأن كبير في تطور الديمقراطية في الصين ، وهو سعة انتشار الشيوعية هناك ووجود حزب شيوعي قوي يضم كثيراً من الأفراد من أصحاب الثقافة العليا ومن أكابر المفكرين الصينيين . وقد أمضى معظم أعضاء الحزب الشيوعي أعواماً طويلة في خدمة الجيش الأحمر الروسي ، كما أنفقوا جهوداً كبيرة في تعليم الفلاحين وإصلاح حالهم ؛ وقد ساعدهم ذلك على تعرف ظروف حياة الطبقات العاملة هناك ، كما أصبحت لهم خبرة واسعة بوسائل الإصلاح التي يمكن أن تجدي عليهم . بيد أن الحكومة المركزية في الصين لا تعترف بالشيوعية ولا تقر طرقها ، بل إنها تناصبها العداء صراحة ، ولا يزال الصراع سجالا بين الحكومتين إلى الآن .

(البقية في العدد القادم) **أحمد الربزبر**

التاريخ فى سير أعلامه :

ملتن . . .

[القيثارة الخالدة التي غنت أروع أناشيد الجمال والحرية والجمال . . .]

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٤ —

بين الطغيان والحرية :

تربى جيمس فى اسكتلندة تربية بروتستنتية إلا أن هواه كان مع الكاثوليك ، ولم يك ذلك بدافع العقيدة فما كان يعبأ مثله بعقيدة ، وإنما كان بدافع الرغبة فى الاستناد إلى الكنيسة كدعامة من دعائم الاستبداد .

وكان البيوريتانز قد تزايد عددهم فى البلاد حتى أصبحوا قوة عظيمة ، وكان هؤلاء خارجون على كنيسة انجلترة لأنها كاثوليكية العقيدة وإن كانت رياستها لملك انجلترة منذ فصلها هنرى الثامن عن رياسة روما .

وقد كان هؤلاء البيوريتانز عند نشأتهم كما رأينا فريقاً من قساوسة الكنيسة الانجليزية ولكنهم فى الواقع أصبحوا يعدون من البروتستانت فى ميولهم ومبادئهم ورغبتهم فى الاصلاح وإن أطلق عليهم اسم خاص بهم ؛ وطمع كل من الكاثوليك المتشيعين لروما والبيوريتانز أن ينالوا عطف جيمس . أما طمع الكاثوليك فلأنه ابن مارى الكاثوليكية ملكة اسكتلندة ، وأما طمع البيوريتانز فلأنه تربى تربية بروتستنتية فى اسكتلندة وفق الكنيسة البرسبتيرية[1] ، ولكنهم جميعاً ما لبثوا إلا قليلا حتى رأوه يميل إلى نظام كنيسة الدولة كما نشأت فى عهد هنرى الثامن وتوطدت فى عهد اليزابث .

واجتمع سنة ١٦٠٤ مؤتمر من قساوسة الكنيسة ، وممثلى البيوريتانز بغية التفاهم على حل ، ولكن ثلثمائة من البيوريتانز آثروا اعتزال مناصبهم على الاعتراف بكتاب الصلاة الذى تقره كنيسة الدولة . وأعلن جيمس كلمته الشهيرة يومئذ التى أفصح بها عن رغبته فى التمسك بالنظام الأسقفى فى رياسة الكنيسة وفروعها وهى قوله : « إن لم يوجد القس فلن يوجد الملك » ؛ وتهدد البيوريتانز بطردهم من المملكة إن لم يذعنوا له .

وكان أعضاء البرلمان يميلون إلى البيوريتانية فاشتد غضب أشياع روما عليهم ، كما أنهم غضبوا على الملك لتمسكه بنظام كنيسة الدولة فدبروا مؤامرتهم الشهيرة بمؤامرة البارود لنسف البرلمان والملك جميعاً ، ولكن مؤامرتهم أحبطت إذ نما خبرها إلى الحكومة ، وأزيل البارود والفتائل من تحت البناء ولاقى المؤتمرون نكال الملك جزاء بما أجرموا ، وحاق بهم سوء ما مكروا فنسف ما بقى لديهم من البارود عدداً منهم ، وأصبح أشياع روما موضع سخط الناس جميعاً وكراهتهم وظل الناس زمنا طويلا لا يعلمون بحادثة منكرة إلا ردوها إليهم ، وظل السذج من العامة ينسبون كل شر يقع مهما كانت صورته إليهم ، ولا يزال بعض القرويين حتى اليوم يحرقون تمثالا رمزياً للبابا فى ذكرى هذا الحادث من كل عام .

وعظم ميل الناس إلى البيوريتانية بقدر ما اشتد سخطهم على الكاثوليك ، ولكن القساوسة على الرغم من ذلك يوحون إلى الملك اضطهاد البيوريتانز والعطف على الكاثوليك من أتباع الكنيسة الانجليزية ، والتمسك بالنظام الأسقفى ، وأصبح هؤلاء القساوسة فى نظر البيوريتانز وأنصار الحرية الفكرية جميعاً رمز التعصب الأحمق والاستبداد الغبى ، لا يدرون أهم أم الملك أحق منهم بالمقت والازدراء ؛ وكان كلما اشتد سخط الشعب على الأساقفة ازداد عطف الملك عليهم وحباهم بالمودة والرعاية وبالغ فى التمكين لهم فى سلطتهم وتنفيذ ما يشيرون به يكيد بذلك لمخالفيه ويشرح صدور مؤيديه .

وتناصر على الملك وحزبه البرلمان والبيوريتانز ، وما زالت هاتان القوتان تعملان على مناوأته فى ثبات ويقين حتى أدركه الموت سنة ١٦٢٥ ، وخلف لابنه شارل الأول العرش والثورة معاً ، ولسوف تكون البيوريتانية فى عهده أشد خطراً عليه من النزاع الدستورى بينه وبين البرلمان .

واستوى على عرش انجلترة شارل الأول ، وكان فى الخامسة والعشرين من عمره ، وكان شارل على الضد من أبيه فى خلقه فلم يعرف التبذل واللهو ، بل كان ملكا من جميع أقطاره يملأ النفوس هيبة باحتشامه ووقاره ، ولم يك ضعيف العزيمة ولا خواراً ولا أرعن الكلم ولا ثرثاراً ؛ بيد أنه لم يتوافر له من الثقافة بقدر

(١) كانت هذه الكنيسة تسير وفق نظام كاهن فلا تجعل الرياسة الدينية فيها أو فى فروعها لرجال الدين وحدهم ، بل يختار الناس من غير القساوسة عدداً يشارك هؤلاء فى إدارة شؤونها .

ما توافر لأبيه منها . وكان البرلمان قد مرن على أساليب المعارضة والمقاومة فى عهد جيمس ، فلم يك أمام شارل إلا طريقا واحدا هو مسالمته ، ولكنه تنكب هذا الطريق ، وبالغ فى إعنات البرلمان وأسرف فى تمسكه بالحق الإلهى المزعوم ، وأصبحت سياسته تنحصر فى مقاومة الرأى العام حتى مل الناس ، وأصبحوا لا يحفلون رضاه أو غضبه .

لم يكد يجتمع أول برلمان فى السنة الأولى من حكمه حتى دب الخلاف بينه وبينه ، وذلك أن البرلمان لم يمنحه المال إلا بقدر حتى يظل محتاجا إليه فلا يحله ، كما أن البرلمان لم يعتمد له ضريبة التجارة إلا لسنة وكانت للملك طول حياته ، وكانت الحرب قائمة بينه وبين أسبانيا فكانت حاجة الملك إلى المال شديدة ، وأمدت انجلترة فرنسا ببعض سفنها لتقذف بها أسبانيا ولكن فرنسا قذفت بها البروتستنت فى أرضها حيث تحصنوا فى ميناء لاروشل فغضب البرلمان وما زال ينتقد سياسة الملك حتى ضاق به الملك فحله .

ولكنه دعا برلمانا جديدا فى السنة التالية أى سنة ١٦٢٦ فاشترط هذا البرلمان أن يزيل الملك أسباب ما يشكو الناس منه وإذ ذاك يجيبه فى سخاء إلى ما يطلب من المال . واتهم البرلمان لورد بكنجهام بتوطئة لمحاكمته أمام اللوردات ، وكان أقرب المقربين إلى شارل ، وكان بكنجهام هوفلير أحد أصفياء أبيه جيمس من قبله ، وكان يعتقد الناس أنه هو الذى يوحى إلى الملك الطغيان ويدفعه إلى محاربة البرلمان ، واستشاط الملك غضبا وأمر بالمحرضين على ذلك فألقى بهم فى السجن ، وامتنع البرلمان عن العمل حتى يطلق الملك سراحهم ، وأعلن ألا تجبى ضريبة التجارة إلا بموافقة البرلمان ، وأذعن الملك فأطلق المحرضين ، ولكن البرلمان عاد إلى اتهام بكنجهام فلم يطق الملك صبرا ، وتخلص منه بحله .

وعمد الملك إلى فرض قرض جبرى لمواجهة الحرب وأخذ فى جمعه بالقوة ، وكان يرسل إلى السجن من يرفض أن يدفع ، وكان ممن دخل السجن بسبب الامتناع جون همبدن أحد زعماء البرلمان وقد أصر على امتناعه معلنا فى صراحة وجرأة أن الملك لا يملك فرض مثل هذا القرض ، وزاد على ذلك قوله « إن العهد الأعظم ينبغى أن يقر أمرتين كل سنة فى وجه من يخرجون عليه » .

واشتدت الضائقة بالملك ، فقد ساقته حماقته إلى خلاف بينه وبين فرنسا وانقلب الخلاف إلى حرب وما تزال الحرب بينه وبين أسبانيا قائمة ؛ وأرسل شارل حملة بحرية لمساعدة البروتستنت الفرنسيين (الهيوجونون) فى لاروشل ، وكانت قيادتها لبكنجهام وباءت بالفشل ، فازداد الناس سخطا عليه وعلى الملك ، وراح الملك يجمع القرض الجبرى بكل ما فى وسعه من عنف حتى لقد ألقى بنحو ثمانين من العلية فى السجن ممن حذوا حذو همبدن ، أما العامة فكان الجلد جزاء من يمتنع أو الحشد فى صفوف الجيش أو فى سفن الأسطول ، ولم يغن عن الملك بطشه فقل المال فى يديه وأيقن أن لا بد من دعوة برلمان ومهد السبيل لذلك بإطلاق من سجن ، كأنه طمع أن يكتسب بذلك مودة الشعب

واجتمع البرلمان الثالث سنة ١٦٢٨ فافترض حاجة الملك إلى عونه وعاد إلى اتهام بكنجهام ، وتحرج الأمر بينه وبين الملك . ثم أعد النواب ملتمسا سموه ملتمس الحقوق ، وأعلنوا استعدادهم لإجابة الملك إلى بغيته من المال إذا أجابهم إلى ذلك الملتمس ، ووافق الملك فأجابوه إلى ما أراد ، ونص الملتمس على أنه لا يحق للملك فرض ضريبة إلا بموافقة البرلمان ، وألا يسجن أى شخص إلا وفق القانون ، وألا يجعل الجند عالة على الناس ، وألا يلجأ إلى الأحكام العسكرية بدل القانون العام ، وهذا الملتمس مستمد فى روحه من العهد الأعظم ، ويعد بعده الوثيقة الثانية لحقوق الإنجليز وحرياتهم .

على أن أشد ما استاء منه الناس هو مسلك الملك يومئذ فى سياسته الدينية . أظهر شارل من أول الأمر ميله إلى نظام الكنيسة الإنجليزية ، ومع أنه لم يك كاثوليكيا وفق مذهب روما فإنه كان يكره البيوريتانز كرها شديداً ويخاف من تزايد عددهم ويشك فى دعوتهم الإصلاحية ويراها ضربا من التطرف لا مبرر له ويميل بالرجوع بالدين إلى مظهره الكاثوليكى القديم .

وحدث أثناء إجازة البرلمان أن قرب الملك إليه أحد رجال الدين وهو وليام لود ورقاه أسقفا للندن ، وأخذ يعمل بما يشير عليه به ، وكان لود من أشد أعداء البيوريتانز ، وكان هؤلاء يمقتونه أشد المقت لتعصبه لنظام الكنيسة الإنجليزية وليله الفطرى إلى الاستبداد بالرأى والقسوة فى معاملة خصومه ولضيق تفكيره وفظاظته ، وغلظ قلبه ، فلما قربه الملك إليه ، عد البيوريتانز عمل الملك نذيرا لهم فأجمعوا أمرهم بينهم على مقاومته ومعاندة لود وممالأة البرلمان عليهما ، وأصبح البيوريتانز من أكبر المتحمسين فى طلب الحرية السياسية ، فهى فضلا عن كونها من مبادىء مذهبهم تعد فى رأيهم الآن طريق الخلاص من وليم لود أسقف لندن خصمهم المنيد .

نظرات فى الأدب :

الأدب والمجتمع

كان من نتائج شيوع المذاهب الاشتراكية ، أن بدأ كثير من الكتاب – ولا سيما دعاة تلك المذاهب – يتجهون فى كتاباتهم اتجاهاً جمياً ؛ ويحاولون أن يعالجوا كل ما يمس المجتمع من قريب أو من بعيد ؛ ويجهدون – قدر الطاقة – فى وسم كل إنتاج لهم بالميسم الاجتماعى .

ولا شك أن هذا الاتجاه إلى معالجة شئون المجتمع ، والنظر إليها هذه النظرة الفاحصة المحصة لما يحمد أثره فى النهوض بالشعوب والرقى بالأمم .

ولا شك فى أنه أيضاً اتجاه طبيعى إلى حد كبير ؛ وهو – فى ذاته – معقول ومجد ، لأنه يتفق وغلبة النزعة الاشتراكية على بلاد العالم جماء ... حتى الديموقراطية منها .

ولكن كل هذا – وإن كنا نقره ونعترف به – لا يبرر – بأى حال – وجوب اتجاه الأدب – بوصفه فناً من الفنون الجميلة – إلى المجتمع ... والمجتمع فحسب : يعالج شئونه ، ويجاهد أن يحل قضاياه ، ويتلمس أن يتعرف علله الظاهرة منها والباطنة ؛ ثم هو لا يتجه من بعد ذلك إلى غير هذا ؛ فهو من المجتمع : ابنه البكر ووليده المشمول برعايته – وإليه ؛ ولا ينبغى أن يبتعد عنه ويروح يغوص فى لجج التيارات الفردية والنزعات الإنسانية التى تلغى قيود الزمنية والمكانية .

... هذا بعينه – هو ما يذهب إليه دعاة الأدب للمجتمع ... ذلك النفر المغالى فى إنكار الذات إلى حد غير متقبل عقلا وبداهة لقد ظن أولئك الدعاة أن الأديب يحيد عن رسالته الروحية حين لا يصرف كل جهوده فى توجيه المجتمع وحل قضاياه ؛ وارتأوا

وقتل بكنجهام بيد مغتال لأمر لا يتصل بالسياسة فتنفس الناس الصعداء ، وخفف عنهم ذلك مراوق وتورث شيئا قليلا ودأب الملك فى جمع ضريبة التجارة ، وعاد الجند يفرضون على الناس لأطماعهم وإيوائهم أينما انتقلوا ، ونظر النواب فإذا ملتمس الحقوق لم يبق فيه من الحقوق شيء .

فلما اجتمع البرلمان سنة ١٦٢٩ كانت قلوب أعضائه مليئة بالسخط على الملك الذى نقض عهده ، وأخذ البرلمان يدعو إليه بعض المسؤولين ليستجوبهم عما عدهم مخطئين فيه مما يتصل بجباية ضريبة التجارة فكان عمله هذا تحديا لإرادة الملك .

وأعد بعض النواب مقترحا فحواه أن جباية هذه الضريبة عمل غير قانونى فليس على الناس أن يدفعوها ، وصاح فيهم رئيس المجلس أن الملك قد أمره ألا يكون موضع مناقشة ، ونظر الرئيس فكأنما انقلب المجلس بركانا يلفظ الحمم ، وصعب عليه أن يتبين ما هز أرجاء القاعة من عبارات صاخبة فمن احتجاج على تدخل الملك فى إدارة الجلسة ومن هتاف بوجوب الأصرار على المقترح ، ومن صيحات موجهة إلى الرئيس أن ينزل عن كرسيه إلى غير ذلك من مظاهر الغضب والسخط ، وذهب بعض النواب فأغلقوا باب القاعة وجاءوا بمفتاحها فوضعوه على المنصة وأنزل عضوان الرئيس عن كرسيه بالقوة وبعض اللوردات وكبار الموظفين يطرقون الباب فى غير جدوى إلى أن قرىء المقترح ووافق عليه النواب فى حماسة عظيمة ، ومما جاء فيه قول النواب « إن من يحدث تغييراً فى الدين أو من يفرض ضريبة جديدة أو يدفعها بغير موافقة البرلمان فهو عدو للمملكة » .

ولما نما ذلك إلى الملك لم يسعه إلا حل البرلمان لخلة فى اليوم الذى تحدد لاجتماعه بعد هذه الجلسة المشهودة ، وأمر الملك فقبض على بعض أعضائه وأرسلوا إلى السجن ، وكان فى مقدمتهم سيرجون إليوت صديق همبدن وصاحب المقترح ، وبعد مضى بعض الوقت تاب الأعضاء مما فعلوا فخلى سبيلهم إلا اليوت فقد ظل على إصراره . وساءت فى السجن حالته ومشى السقم فى بدنه فما زاده ذلك إلا عناداً وإصراراً . واقترب منه الموت بعد بضع سنين فما أخافه شبح الموت ولا أوهن له اصطباراً وانى النائب الشجاع حتفه بين جدران السجن فكان أحد شهداء الحرية ، وكان من السهل أن يشترى حياته بأذعانه لمن سجنه ولكنه آثر ميتة البطل ؛ ولم يتورع الملك عن أن يكيد له وهو بعد رفات فمنع أهله من أن يدفنوا جثته خارج السجن فوسد حيث استشهد ، ودفن حيث أبت روحه أن تدفن .

(يتبع) **الخفيف**

أن فى انتهاجه المنحى الفردى — الذى يحصر حدود الكلام فيما يعتلج فى النفس ويدور حولها ويتعلق بها ويرتد إليها — انحرافا يستدل منه على أنه لا يعانى المجتمع ويجرى وراء الأوهام والتعلات !

وهذا قول من شأنه أن يضيق من حدود مجالات الأدب الفسيحة ، حتى يضيق الأدب به ويضيق بأصحابه على خلاف ما يتوهمون !

إن الأدب — أسوة بغيره من الفنون — تعبير(١)... تعبير بكل ما نريد بهذه الكلمة من تبيان معانى « الإفصاح والإبانة والتجلية » . وفن هذا شأنه وهذه طبيعته ، لا يمكن أن نقسره على أن يكون صدى لمجتمع بعينه أو بيئة بعينها . وكل ما ينبغى أن نطالبه به وننشده فيه ، هو أن يكون صادقاً مبيناً صادراً عن نفس تحس فتتأثر ثم تؤثر .

والكاتب حين يصدر فى إنتاجه عن حس صادق مستوفز للمؤثرات والحوافز ، وملكة مواتية ذلول تموج فيها تيارات الإلهام الدافق المتفجر — لا يمكن أن يكون « مسئولا » بعد ذلك ، عما إذا كان قد تناول شئون المجتمع أم طوى كشحاً عنها ... لا يمكن أن يكون « مسئولا » فى « عرف » آلهة الفن وحواريه وملائكته ... وشياطينه أيضاً ! ولا علينا بعد ذلك أن يكون « مسئولا » أمام المجتمع أو أمام الساسة المهرجين !

أجل ... حسب الأديب الفنان أنه عبر ... فى صدق وإخلاص يكون لهما فى القلب رنين ... حسبه هذا ، وكفى به رصيداً — أى رصيد — يضم إلى تراث الإنسانية الرفيع !

وتعبير هذا شأنه من الصدق وتحرى نفحات الإلهام هو — من غير شك — لذو أثر فى السمو بالإنسانية عامة — أيا كان لونه واتجاهه . ولا يمنينا — بعد ذلك — أن يكون إحساس هذا الأثر جلياً ظاهراً للعيان ، صادراً عن مجاوبة مجتمع بعينه ، أم خفياً يتسرب إلى التراث الإنسانى فى خفة العصفور الدقيق الرشيق ... بل إنى لأراه أطيب وأوقع فى النفس ، وأقوى على تحمل البقاء فى رصيد الإنسانية ، حال خفائه وانسرابه إليه فى خفة العصفور الدقيق الرشيق!

وإنى لأسمع الكثيرين يتساءلون حين يصادفون نتاجاً أدبياً ، يتناول وقائع خاصة أو أحداثاً شخصية فردية بحتا ، بحيث لا تمس أحوال المجتمع فى كثير أو قليل ... إنى لأسمعهم يتساءلون فى أسى وحيرة : « ... وما جدوى هذا الإنتاج للمجتمع ؟ ! »

... وما أحراهم أن يديروا هذه الأسئلة التالية فى عقولهم — وفى قلوبهم أيضاً ! — ليجدوا المخلص من أساهم وحيرتهم اللذين لا مبرر لهما ... فى نظرى :

أليس هذا الإنتاج « إنسانياً » على كل حال ؟ أليس المجتمع — فى ذاته — ليس إلا مجموعة أفراد ؟ ... ومهما تمايزت المجتمعات واختلفت الشعوب وتباينت النحل والأجناس ، ألا توحد بينها جميعاً رابطة الإنسانية العليا ؟ ! ... ثم ... أليس فى حكم البداهة المقررة أن النفس الإنسانية — مهما تعددت فى شكولها الظاهرية ، وبالنسبة إلى الزمنية والمكانية — واحدة فى جوهرها وفى صميم فطرتها الأصيلة ؟ !

... ولا ينبغى أن يخشى أولئك الاجتماعيون — الذين يريدون أن يستأثروا بهذا الوصف وحدهم ... لست أدرى لماذا ؟ ! — لا ينبغى أن يخشوا أن ينحرف الأديب — إذا لم يقيد إنتاجه بالغرض الاجتماعى والهدف النفعى — إلى قضايا الشر يؤيدها ويمجدها ويحث على إثارتها ... فيهود بذلك المجتمع ويصبح حرباً عليه ، حين كان يؤمل فيه — لو أنه توجه فى تياره — أن يكون عوناً له ونوراً به يستضىء ... لا ينبغى أن يخشى أولئك الاجتماعيون ، شيئاً من ذلك على الإطلاق ، لأننا لا نعرف الفنان إلا خيراً ، ولا نعرف الفن إلا خيراً صرفاً كله ؛ لأنه لا يجوز فى الذهن — والفنون بالبداهة أسمى كنوز الإنسانية ، وأغلى ما تعتز به من تراث — أن تكون نفس الفنان مركبة على حب الشر والنزوع إليه . وما هذا الأدب الشرير الذى منه يتوجسون وعلى مجتمعهم منه يشفقون ، إلا غطاء ظاهرى نسجه المجتمع اللعين ، وظاهره فى ذلك القدر فطمر على ينابيع الخير الثرة فى النفس الفنانة الشفيفة

... لا خوف على الإنسانية من شر ظاهرى زائف ، يفضحه الخير المتأصل فى النفس — ونعنى بها هنا نفس الفنان — تأصل الخصب فى الأرض الطيبة السمحة !

(مصر الجديدة) **عبد العزيز الكرداني**

---

(١) راجع فى هذا المعنى — متوسعاً فيه — مقالا نفيساً ماتعاً ، للكاتب الكبير الأستاذ العقاد عنوانه « أسئلة وأجوبة » — ع (٦٩٩) من الرسالة .

نقل الأديب

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

٧٣٤ — جاء الزمان إلى منها تائباً

دخل عبد الله بن عبد الواحد على الملك العادل بن المنصور (من ملوك الأندلس والمغرب) فقال له العادل كيف حالك ؟ فأنشده :

حال متى علم ابن منصور بها   جاء الزمان إلى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه أفريقية .

وهذا البيت للمتنبي وإنما تمثل به لموافقة اسم منصور فيه لإسم والد العادل لحسن التمثيل به .

٧٣٥ — تسأل عنها أخاك إبليس

فى (العقد) كان ابن سيرين إذا سئل عن مسألة ، فيها أغلوطة[1] ، قال للسائل : أمسكها حتى تسأل عنها أخاك إبليس .

٧٣٦ — يبكي الغمام وتضحك الأزهار

قال ابن ظافر : اجتمع الوزير أبو بكر بن القبطرنة والأديب أبوالعباس بن صارة الأندلسيان فى يوم جلا ذهبَ برقه ، وأذاب ورِق ودقه ، والأرض قد ضحكت لتعبيس السَّماء ، واهتزت وربت عند نزول الماء . فقال ابن القبطرنة :

هذى البسيطة كاعب أبرادها   حلل الربيع وحليها النوار

فقال ابن صارة :

وكأن هذا الجو فيها عاشق   قد شفه التعذيب والاضرار

ثم قال :

وإذا شكا فالبرق قلب خافق   وإذا بكى فدموعه الأمطار

فقال ابن القبطرنة :

من أجل ذلة ذا وعزة هذه   يبكى الغمام وتضحك الأزهار

(١) الأغلوطة : ما يغالط به من المسائل العالم ليستزل ويستقط رأيه « التاج » أنهاك عن الأغاليط ، وأربأ بك عن التخاليط ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الأغلوطات « الأساس » .

٧٣٧ — أتاك منى بما لا تشتهى القدر

كان أبو الهذيل العلاف المعتزلى يبغض العباس بن الأحنف ويلعنه لقوله :

إذا أردت سلواً كان ناصركم   قلبي وما أنا من قلبي بمنتصر

فأكثروا أو أقلوا من إساءتكم   فكل ذلك محمول على القدر

فكان أبو الهذيل يلعنه لهذا ويقول : يعقد الكفر والفجور فى شعره .

فقال العباس بن الأحنف :

يامن يكذب أخبار الرسول لقد   أخطأت فى كل ما تأتى وماتذر

كذبت بالقدر الجارى عليك فقد   أتاك منى بما لا تشتهى القدر

٧٣٨ — لم لم يروحه كما أغداه ؟

فى (الوشح) قال الصولى : قال الأصمعى : أنشدتُ الرشيد أبياتَ النابغة الجعْدى من قصيدته الطويلة :

فتى تمَّ فيه ما يسرّ صديقه   على أنّ فيه ما يسوء الأعاديا

فتى كملت أعراقُه غيرَ أنه   جوادٌ فلا يُبقى من المال باقيا

أشمُّ طويل الساعدين ، شمردلٌ   إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا[1]

فقال الرشيد : ويله ! ولِمَ لمْ يروحْه فى المجد كما أغداه ؟ ألا قال : إذا راح للمعروف أصبح غاديا .

فقلت : أنت والله (ياأمير المؤمنين) فى هذا أعلم منه فى الشعر .

٧٣٩ — سؤال الحوائج عند الطعام

فى (شذرات الذهب) : كان أبو العباس — أول خلفاء العباسيين — إذا حضر طعامه أبسطَ الناس وجهاً ، فكان إبراهيم بن مخرمة الكندى إذا أراد أن يسأله حاجة أخَّرها إلى أن يحضر طعامه ، ثم يسأله . فقال له يوما : يا إبراهيم ، ما دعاك إلى أن تشغلنى عن طعامى بحوائجك ؟

قال : يدعونى إلى ذلك التماس النجح لمن أسأله له .

فقال أبو العباس : إنك لحقيق بالسؤدد لحسن هذه الفطنة .

(١) الشمم فى الأنف ارتفاع القصبة وحسنها واستواء أعلاها ، وانتصاب الأرنبة . وإذا وصف الشاعر فقال أشم فإنما يعنى سيداً ذا أنفة « اللسان » .

فى « اللسان » الشمردل : القوى السريع الفتى الحسن الخلق . قال المساور بن هند :

إذا قلت : عودوا ، عاد كل شمردل   أشم من الفتيان جزل مواهبه

٧٤٠ — مصيبة ...

يهـودى بلا مال   وأعمى ماله صوت

٧٤١ — من أدب السلف الصالح

فى (الآداب الشرعية والمنح المرعية) :

ابن عقيل فى الفنون : مما وجدتُه فى أدب أحمدَ[1] أنه كان مستنداً وذُكِرَ عنده ابن طهمان ، فأزال ظهرَه عن الاستناد وقال : لا ينبغى أنْ يجرى ذكرُ الصالحين ونحنُ مستندون .

قال ابن عقيل : فأخذتُ من هذا حسنَ الأدب فيما يفعله الناسُ عند إمام العصر من النهوض لسَماع توقيعاته .

٧٤٢ — إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

كانت العرب تقول : (السَّفَر ميزانُ القوم) كأنه يزنهم بأوزانهم ويُفصح عن مقاديرهم فى الكرم واللؤم . قال المطوى :

أكرمْ رفيقك حتى ينقضى السفر   إن الذى أنت موليه سينتشر

ولا تكن كلئام أظهروا ضجرا   إن اللئام إذا ما سافروا ضجروا

٧٤٣ — ويكون جرحك جبارا

فى (نفح الطيب) كان ابن الصابونى الأندلسى فى مجلس أحد الفضلاء بأشبيلية فقدم فيما قدم خيار ، فجعل أحد الأدباء يقشرها بسكين ، فخطف ابن الصابونى السكين من يده . فألح عليه فى استرجاعها . فقال له ابن الصابونى كف عنى وإلا جرحتك بها .

فقال له صاحب المنزل : اكفف عنه لئلا يجرحك ويكون جرحك جبارا[1] ...

(١) الامام أحمد بن حنبل .

٧٤٤ — الاعرابى وفن العروض

فى (محاضرات الراغب) : دخل إعرابى مسجد البصرة فانتهى إلى حلقة علم يتذاكرون الأشعار والأخبار وهو يستطيب كلامهم ثم أخذوا فى العروض فلما سمع الفاعيل والفعول ورد عليه ما لم يعرفه فظن أنهم يأتمرون به فقام مسرعاً وخرج وقال :

قد كان أخذهمُ فى الشعر يعجبنى   حتى تعاطوا كلام الزنج والروم

لما سمعت كلاماً لست أعرفه   كأنه زجل الغربان والبوم[2]

ولّيت منفلتاً والله يعصمنى   من التقحم فى تلك الجرائيم[3]

(١) فى الحديث : جرح العجماء جبار ، الجبار الهدر والعجماء الدابة « النهاية » قال الأزهرى : إن البهيمة العجماء تنفلت فتتلف شيئاً هدرن فهو وكذلك المعد إذا انهار على أحد فدمه جبار أى هدر (المصباح) .

(٢) زجل : صوت

(٣) فى تلك الجرائيم : فى تلك الأماكن غير المستوية فى (النهاية) : فى حديث ابن الزبير لما أراد هدم الكعبة وبناءها كانت فى المسجد جراثيم أى أماكن مرتفعة عن الأرض متجمعة من تراب أو طين .

شهادة . . . !

للدكتور إبراهيم ناجى

أقولها بين يدى صديق الشاعر الوجدانى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى تحية معطرة بشذى « زهر الربيع »

وفينانةٍ ريّانةٍ بجمالها ... بتول، كأملاك السماء كَعاب
رآها أخٌ بالحسن والسِّحر عارف ... عليم بشُهدٍ فى الحياةِ وصاب
بها صورشتى من الحسن، لم تدرْ ... ببال، ولا جالت له بحساب
بدت سافرات تنهب القلب والحجى
ولو كان هذا الحسن خلف نقاب !
إذاً لتحدّى صولةً كل حائل ... وشق إلى الأنوار كل حجاب
فيالك من حسن قوى وإن يكن ... كفجر وديع فى الضّياء مذاب
رآها ... فصاح القلب فى الصدر هاتفاً :
ألا ليتنى أدركتها بشبابى ... !

هى . . .[*]

للاستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى

[أرفع تلك الورقة المخضلة بهذه الأبيات وكأنها زهرة منداة من « زهر الرّبيع »]

أطلّت على دنيايَ فجرَ شبابى ... فعشت بقلب فى الضّياء مذاب
يباكره منها السنا كلما سرَت ... فتشرق آمالى به ورِغابى
حبتنِيَ من نور الجمال ونوْره ... ضياء ظلامى وازدهارَ يبابى
عرفتُ بها سرّ الجمال محجّبا ... وأدركته سرًّا بغير حجاب
فلا أنا فى الحالَيْن أرضى ضلالتى ... ولا أنا أرضى جانب المحراب
محيّرةٌ فى القرب والبعد يستوى ... شرابى من كاساتها وسرابى
حنانَيْك أودت بى قُطيعتكِ التى
مضت ... والتلاق قد أضاع صوابى
ولست بشاك ما أعانيه من ردًى ... لغير التى منها أكابد ما بى !

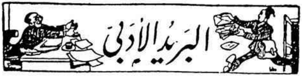
[*] من ديوان — زهر الربيع — يظهر فى هذا الربيع .

عيد الجلاء . . . !

للاستاذ أنور العطار

دمشق ترفل فى أفواف وادينا ... غنّى لها (بردَى) هيمان مفتونا
السلسل العذب يُهدى (النيربينْ) هوى
كالروض يَعبقُ أوراداً ونسْرينا
و(قاسيون) انتشت بالنور هامته ... كأنه قبس الأنوار من (سينا)
وضجت الغوطة المنضور جانبها ... بيوم (جلّقَ) واهتزت أرانينا
يوم أغرُّ على الأيام مؤتلقٌ ... مُشهَّرٌ ما يزال الدهر ميمونا
يا صفحة قد كتبناها بأيدينا ... بالدمع والدم قد زِينتْ أفانينا
ويا جهاد الألى اعتز الجهاد بهم ... أرضيتم اليَعرُبيّين الأبيّينا
نزهتمُ الشام من باغ يعيثُ بها ... وصُنتمُ مهدها مهد النّبيّينا
ملأتمُ ساحها عزاً وتكرِمة ... فكان حاضرُنا رمزاً لماضينا
أتت على الشام أعوام مُروّعة ... كأنما هى أجيالٌ تُعنّينا
جرّ الغيرُ علينا نقمة عظُمت ... فكانت الدار نهب الأجنبيّينا
فهبَّ من مهدوا يوم الخلاص لنا ... يصارعون الرّزايا غيرَ وانينا
فكان إقدامُهم بعثاً لهامدنا ... وحافزاً يحفز الشُّعْث المساكينا
مشوا إلى الهول يرتادون جاحمه ... يستعذبون المنايا غير خاشينا
كأنهم أرَجُ الفردوس تَنفحه ... رياض جلّقَ فوّاحاً تحاسينا
تباركَ الدم قد أهرَقتموه فِداً ... وقدّستْ أنفسٌ سالتْ قرابينا
لم تُلهِكم مُتعُ الدنيا وزينتها ... أن تبعثوها على الباغى براكينا
ولم يُخفكم أذى العادى وصولته ... أن تذعنوا أو تقرّوا الذُّل عانينا
ولا ارتضيتم مِهاد العيش لينة ... والحرُّ لا يعرف الإذعان والهُونا
الخالدون وما الدنيا وبهجتها ... إلا سنا الخالدين العبقريينا
عاشوا جمال الدُّنا حتى إذا زلت ... بهم مناياهم ظلّوا عناوينا
كأنما يبدأون العمرَ ثانية ... حتى إذا ما تواروا أشرقوا فينا
يا حفنة من ثرى الأجداد طيبة ... تكاد من طِيبها تندى روابينا
هبت فكانت ربيعاً فى حواضرنا ... وبهجة وائتلاقاً فى بوادينا
يلفُّها الحبُّ مختالاً بها فرحاً ... كأنها الشام قد زَفّتْ بساتينا
نبنها فرحة الأحفاد قد نهضوا ... وأنشأوا الملك تدعيما وتمكِينا
بشُّوا الرسالة فى أوج العلى ومشوا ... للمجد والعزة القَعْساء سامينا

طافوا بقبر صلاح الدين واستلموا ... فمل المطيفين بالبيت الناجينا
شادوا كما شادتِ الأجدادُ في وطنٍ ... صُنْعَ الأُباةِ الحماةِ العَبْشَميِّينا
المالكين وعزُّ الملكِ يلحظهم ... والمالئين فِجاجَ الأرض تَمدِينا
الناهجينَ إلى العلياء منهجها ... والألمعين إتقاناً وتحسينا
حيوا لأوطانهم حتى إذا رقدوا ... تفرَّدوا بجلال الذِّكر باقينا
لم يطمئنوا إلى الأيام خادعة ... والدهر مازال حرب المطمئنينا
مَن مبلغ راقداً في الرمل متشحاً ... بُرد الشهادة مغموراً رياحينا
الجوهرَ المحضَ تاهت (ميسلون) به ... كأنه البدر في داجي ليالينا
والصادق العزم لو لاقى بعزمته ... صم الجنادل رد الصخر موهونا
من آثر الموت أن يحيا إلى زمن ... يذوق فيه الردى صاباً وغسلينا
تدرَّع العزم لا يلوى به أمل ... ولقَّن الصبرَ في الهيجاء تلقينا
أنَّ الوفينَ قد صحَّتْ عزائمهم ... فزحزحوا عن حمى العُرب المغيرينا
وشيَّدوا المجد بالهامات طائحة ... وللمآثر والعلياء بانونا
تلكم دماؤُهم ضجت مزغردةً ... وتلكم يا بني قومي أضاحينا
وأنت يا عيدهم بوركتَ من أمل ... حلو على الدهر نحييه فيُحيينا
في (ميسلون) طريف من مفاخرنا ... وفي حماها رفيف من أمانينا
وفي تضاعيف سوح الشام أمثلةٌ ... من الفداء تُناجينا فتُصْبينا
وعداً عليَّ وقد أصفى الزمان لنا ... لأنظمنَّ بها أحلى أغانينا
يا وحدة العرب لوحي في أباطحنا ... وأشرق كالدراري في مغانينا
وأنت يا نفحة الضاد التي سكرت ... بها النفوس وما تنفك تغرينا
لأنت زاد الأُلى ازدان الوجود بهم ... وأنت أنت السَّنا في الخطب يهدينا
إذا ضللنا ولم ترشد محجتنا ... لذنا بوحدتنا الكبرى تؤاخينا
وإن ضعفنا وأوهى الضعف عقدتنا ... كانت لنا داعماً في الضعف يعلينا
وإن حننا إلى الأطيار صادحة ... شدت لنا اللغة الفصحى تناغينا
يا فرحة الملتقى أذكيتني طرباً ... وهجت أحلى المنى في أرض «جيرونا»
تركت قلبي مغموراً بنشوته ... سكران تصبيه أفراح النجيينا
يا طول شوقي إلى الألاّف قد رجعوا ... ولم يكن طيفهم يوما يصادينا
غنى لهم خاطري فرحان مبتهجاً ... لحن اشتياق يسيل الدمع محزونا
تساءل النفس في شوق وفي لهف ... من أنت يا من أذاع الوجد مكنونا
أأنت ذيالك الطيف الذي خفقت ... له الضلوع وغناه المغنونا
أم أنت دنيا من الأحلام طيبة ... كالمسك نشراً وأنفاس الربا لينا
أم حقق اللهُ وعداً فاتناً لهجت ... به النفوس ونصراً كان مضمونا
أأنت طيف سرى في العين ناعمة ... أم أنت حققت للعُرب الأظانينا
فصحتُ من طربٍ والزهوُ يملكني : ... «أضحى التداني بديلا من تنائينا»
ماذا على القلب إن هاجت هوا نجه ... فراح ينشد أشعار (ابن زيدونا)
يا جيرة العُرب صان الله عقدكم ... وزادهُ الحب توثيقاً وتمكينا
حللتم الوطن الزهوَّ جانبه ... من بعد ما نَهلتْ منه أعادينا
وبعد داء عياء لا كفاء له ... جمّ المواجع يُشجينا ويُبكينا
الغاشم المرُّ ولَّى عن أباطحنا ... وانهار كالسيل سكباً من صياصينا
قد حطَّهُ وهو في عليائه قدَر ... يردِي المغير ويطوى المستبدّينا
فقل له زاجراً نهلان من سخر ... لا عدت يا من صحبت الرأي مأفونا
ولا أظلَّتْك دنيا الناس تملؤها ... غمْاً طويلاً وويلات أفانينا
أثرتَ للحق تعليه وتُعظمه ... أم كان ذلك تضليلا وتلوينا
غررت ناساً فقالوا ثورة عجب ... قد صاغها الحق حينا والعلى حينا
يعيش فيها الحجا جذلان مغتبطاً ... ويستنير برأى الألمعينا
ثم انجلت فإذا طغيان مختبل ... جم المخازى فما زينت ولا زينا
تفيض بالفتنة الكبرى جوانبها ... وتملأ الأرض تفكيكا وتوهينا
يا يوم (جلق) ضم العرب فائتلفوا ... فما ترى بيننا غير المحبينا
الهائمين تلاقوا بعد ما افترقوا ... وعاهدوا الله أن يحيوا وفيينا
تمازجوا في إخاء رائع عجب ... فمل الأخلاء في الدنيا المصافينا
(نجد) الهوى و (الحجاز) السمح قد سربا ... في (جلق) وانثنت (بغداد) تطرينا
وأشرقت (مصر) باللألاء باهرة ... وبالحياة وبالأرواح تفدينا
ومر (لبنان) في خلاب صورته ... كأنه الشعر ترتيلا وتلحينا
(عمان) طافت تهز النفس روعتها ... ورفت الشام في وشى (اليمانينا)



فى مقالة للأستاذ العقاد :

روى العلامة الأستاذ الشيخ المحترم عباس محمود العقاد فى مقالته : (من الدعوة الهندية) فى الرسالة الغراء ٦٧١ : « وكل ما أدعيه أننى محدث » وقد ضبطت هذه اللفظة الأخيرة بكسر الدال وتشديدها — ولا ريب فى أن ذلك تطبيع — ومقصود القائل ، هو المحدَّث بفتح الدال وتشديدها . قال ابن الأثير فى النهاية .

« قد كان فى الأمم محدَّثون ، فإن يكن فى أمتى أحد فعمر ابن الخطاب . جاء فى الحديث تفسيره أنهم الملهَمون ، والملهم هو الذى يلقى فى نفسه الشيء فيخبر به حدسا وفراسة ، وهو نوع يختص به الله (عز وجل) من يشاء من عباده الذين اصطفى مثل عمر ، كأنهم حدثوا بشيء فقالوه » .

والمروَّع — بفتح الواو وتشديدها — مثل المحدث ، جاء فى لسان العرب :

« وفى الحديث المرفوع أن فى كل أمة محدَّثين ومروَّعين فان يكن فى هذه الأمة منهم أحد فهو عمر . المروع الذى ألقى فى

لكنما العين ما زالت مؤرقة تبكى الأحبة فى دنيا (فلسطينا)
تهيب بالعرب فى علياء عزتهم أن ينقذوا اليعربيين الصابينا
العرب فى (المغرب) الأقصى تناجينا
والعرب فى (المغرب الأدنى) تنادينا
لهفى عليهم وقد ضاق الفضاء بهم ماذا من الغاشم العادى يلاقونا
مازالت الأرض تندى من دمائهم وما تزال عواديهم عوادينا
العرب فى ثورة للمجد شاملة علياء وطدها الصيد المحامونا
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا
أرواحهم فى سبيل العرب فادينا
ومن أشاحوا عن الدنيا ومن تخذوا
هوى العروبة فيما بينهم دينا
هذا هو المجد خطته أناملهم وخلدته على الدنيا قوافينا
كأنما هو مسك من دمائهم قد استطار دموعاً من مآقينا

٢٦٠٤٣

روعه(1) الصواب والصدق وكذلك المحدث كأنه حدث بالحق الغائب فنطق به » .

وقد رأى الشيخ المحترم أن (التسليم) هو الكلمة الفرنجية Islamization قائسا إياها — كما أوقن — على التهويد والتنصير والتمجيس . روى البخارى :

« ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه ... » .

وفعل ذلك المصدر (سلم يسلم) ولهذا فى العربية معان كثيرة ليس الحرف المختار للفرنجية منها ، وإذا لم نسلم بما قال الأستاذ العقاد فما ذا نقول ؟ ...

السهمى

الى الأستاذ أحمد حسين :

خذ — يا أخا العرب — غير مأمور هذا الخبر فى الطلاق إن لم تكن قد رويته فى كتابك (الزواج والمرأة) وهو حجة لك وفيه قضاء عدل :

« ... عن عكرمة فى رجل قال لغلامه : إن لم أجلدك مئة سوط فامرأتى طالق . قال : لا يجلد غلامه ، ولا تطلق امرأته ؛ هذه من خطوات الشيطان . ذكره (ابن داود فى تفسيره) فى لا تتبعوا خطوات الشيطان » .

فلا طلاق إلا أمام القاضى من بعد فحص وبحث ، وتذكير وتحذير ، ونصح طويل ، ولوم جميل . و « آخر الدواء الكى » .

هذا الذى يرضى النبى محمدا .

مسلم

الجامعة العربية تنشئ معهداً للفقه الإسلامى :

من المشروعات التى ستعرض على اللجنة القانونية لجامعة الدول العربية فى شهر يوليو القادم إنشاء معهد للفقه الإسلامى تدرس فيه المذاهب الفقهية الإسلامية المختلفة ، ومقارنة بعضها ببعض ، ثم مقارنتها جميعا بالقوانين الغربية الكبرى . والغرض من إنشاء هذا المعهد تهيئة جو مناسب لدراسة الفقه الإسلامى دراسة علمية حديثة تسير بهذا الفقه العظيم فى طريق التطور الذى اختطه السلف الصالح من الفقهاء المتقدمين ، حتى إذا تهيأت

---

(١) الروع بالضم القلب والعقل ووقع ذلك فى روعى أى فى نفسى وخلدى وبالى ، والروع — بالفتح — الفزع وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما : إذا شمط الانسان فى عارضيه فذلك الروع كأنه أراد الانذار بالموت . (اللسان) .

الأسباب أمكن أن يكون الفقه الإسلامي ركنا من الأركان التي تقوم عليها دراسة القانون المدني في العالم ؛ وأمكن في الوقت ذاته أن يكون هذا الفقه مادة خصبة تستمد منها التشريعات الحديثة في دول الجامعة العربية . فهل تستطيع كلية الشريعة في الجامعة الأزهرية أن تضطلع بهذا المشروع الخطير الذي تقتضيه حال التطور الدائم في الأقطار العربية والإسلامية ؟ إحدى اثنتين : إما أنها تستطيع ، لأنها وحدها وريثة الفقهاء الأربعة ، وإذن يكون إنشاء هذا المعهد من الفضول الذي يأخذ ولا يعطي ، ويعدد ولا يوحد ، ويزيد ولا يفيد . وإما أنها لا تستطيع ، لأن الذين ينهضون بهذا العبء يجب أن يكونوا فقهاء من طراز عبد العزيز فهمي ، وعبد الحميد بدوي ، وعبد الرزاق السنهوري ، وإذن يكون رأي الأستاذ محمود الغمراوي محتاجا إلى التعديل ، حتى لا يتبدد تراث هذا المعهد الإسلامي الجليل .

التربية الدينية في المدارس :

أرسل صاحب المعالي الأستاذ محمد العشماوي باشا وزير المعارف إلى سعادة الأستاذ وكيل الوزارة الكتاب الآتي نصه :

« يهمني العناية بالتربية الدينية بالمدارس على اختلاف أنواعها ودرجاتها بالثقافة حسب مستوى التعليم ، وأن يعنى بجانب تعليم العبادات وتفهم روحها ومراميها بإحاطة الطلبة والطالبات علما بمبادىء الدين الإسلامي في إصلاح النفوس والأجسام وتنظيم المجتمع وتنظيم العلاقات بين الأفراد والأمم على أساس من العدل والاستقامة والأمانة ، وتعريف الطلبة بأبطال الإسلام تعريفا يقوى فيهم روح التقدير للمثل العليا ويحفزهم إلى القدوة الحسنة .

وإني أرجو أن تعرض على اقتراحا بتشكيل لجنة لهذا الغرض ، يكون من المستحسن تشكيلها من الشيخ محمود شلتوت والشيخ حسن البنا وعميدي اللغة العربية بالوزارة لتقترح الخطة ، والمنهج ، والكتب المحققة لهذا الغرض حسب مراحل التعليم بعد بحث الوضع الحالي لدراسة الدين والثقافة الإسلامية ، ويعرض مشروع قرار وزاري بذلك على وجه السرعة بعد الاتصال بحضرات الأعضاء من خارج الوزارة للاتفاق معهم على المساهمة في هذه المهمة .

الجوائز الملكية للعلوم والآداب والقانون :

أوشكت اللجنة الوزارية التي يرأسها صاحب المعالي وزير المعارف أن تفرغ من وضع قواعد النظام الخاص بتوزيع جوائز صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول .

ومما استقر الرأي عليه في ذلك أن يكون توزيع الجوائز الثلاث التي باسم المغفور له الملك فؤاد الأول في ٢٧ إبريل من كل سنة تخليداً لذكرى وفاته ، وهي ثلاثة آلاف جنيه ، كل جائزة قيمتها ألف جنيه .

ويكون توزيع الجوائز الثلاث التي باسم صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وهي على نفس النظام في يوم ذكرى عيد جلوسه السعيد . وهذه الجوائز توزع :

١ — لأحسن عمل أو إنتاج في العلوم .
٢ — لأحسن عمل أو إنتاج في الآداب .
٣ — لأحسن عمل أو إنتاج في القانون .

وقد سمعنا أن معالي وزير المعارف قد اقترح على اللجنة أن تخصص الوزارة من عندها جوائز أخرى لتشجيع العلوم والفنون فتقرر الأخذ بهذا المبدأ .

من شهادة الفرنج للإسلام :

تلقى (مستر لايس) المفتش السابق للمدارس الانجليزية بمصر دروساً في اللغة العربية على أستاذنا العلامة اللغوي الشيخ عبد القادر المبارك عضو المجمع العلمي بدمشق ، وقرأ القرآن على أستاذنا العلامة المفسر الشيخ عبد الله العلمي . وقد سمعه الأستاذ المبارك يقول :

لسان العرب وتاريخ الإسلام يغنيان عن كل لسان وكل تاريخ ، وما من حسنة في بلاد الفرنج إلا وأصلها من بلاد الإسلام ، وما من سيئة في بلاد الإسلام إلا وأصلها من بلاد الفرنج .

فوزي محمد القباني

في الفقه المقارن :

أظهرت مكتبة الآداب بالجماميز الطبعة الرابعة لكتاب الميراث في الشريعة الإسلامية والشرائع السماوية والوضعية ، بعد أن أضاف إليه مؤلفه الأستاذ عبد المتعال الصعيدي المدرس بكلية اللغة العربية كثيرا من الزيادات والتنقيحات ، فجاء في ١٥٢ صفحة من القطع المتوسط ، وقد درس فيه الميراث في الشريعة الإسلامية بتفصيل ، وبين فيه طريق حساب الإرث بالقواعد

الحسابية الحديثة بعد بيانه بالقواعد القديمة ، وذكر فيه جدول المواريث مع تحقيق الخلاف فى واضعه .

ثم بين فيه بعد هذا المواريث عند قدماء المصريين ، وعند الأمم الشرقية القديمة ، وعند العرب فى الجاهلية ، وعند الأمة اليهودية ، وعندقدماء اليونان وعندقدماء الرومان ، وهذه هى أشهر الشرائع القديمة .

ثم بين فيه بعد هذا الأصول الحديثة للمواريث الوضعية ، والميراث فى القانون الفرنسى ، والميراث عند الاشتراكيين ، واكتفى بذكر الميراث فى القانون الفرنسى عن ذكر الميراث فى غيره من القوانين الحديثة ؛ لأن هذه القوانين مستمدة من القانون الفرنسى ، ولا تختلف عنه إلا قليلا .

ثم ذكر فيه بعد هذا الموازنات بين الميراث فى الشريعة الإسلامية والمواريث فى هذه الشرائع ، فانفتح بذلك باب جديد ظهر فيه أسرار عظيمة فى الميراث الإسلامى ، أظهرتها تلك الموازنات بينه وبين غيره بعد خفائها ، وبينت أن ما جاء به الإسلام فى الميراث يوافق الأصول الحديثة الصحيحة للمواريث أكثر من المواريث الحديثة والقديمة ، وأنه يكفل مراعاة ميل المورثين ، والعدل بين الورثة ، والمحافظة على الجيل الجديد ، أكثر من المواريث التى وضعت لها هذه الأصول .

وتلك أسرار جديدة لم تكن لتظهر فى المواريث الإسلامية لو اقتصر فى دراستها على الطريقة القديمة ، لأنها تظهر فيها أحكاما تعبدية لا يفقه لها حكمة إلا اختيار الشارع لها ، وإيثاره لها على غيرها ، كما جاءت صلاة الصبح ركعتين ، وصلاة الظهر أربع ركعات ، إلى غير هذا من الأحكام التعبدية .

وما أحوجنا فى هذا العصر إلى دراسة أبواب الفقه الإسلامى كلها على هذه الطريقة الجديدة ، ليعرف فضلها بالموازنة بينها وبين غيرها من الشرائع ، وتظهر فيها أسرار جديدة تجذب الناس إليها ، وتحملهم على تقديرها وإنصافها .

إقتراح :

كانت الرسالة تختم كل مجلد بفهرسين : فهرس لأعلام الكتاب وفهرس للموضوعات ، ثم ضيقت الحرب صفحاتها ، فتركت الأول واكتفت بالثانى .

والرسالة سجل الأدب الحديث لا يكاد يستغنى عن الرجوع إليه متأدب ناشىء أو ناقد أديب . ولقد احتجت اليوم إلى النظر فى مقالة أعرف موضوعها وإسم صاحبها ولكنى لا أعرف عنوانها بالضبط لأعود إليه فى فهرس الموضوعات ، فاضطررت للتفتيش عنها ساعتين كاملتين ، ولو كان للاعلام فهرس لوجدتها فى خمس دقائق .

فأنا اقترح على الرسالة أن تصل ما كان انقطع وتنظم فهرسا واحداً لأعلام الكتاب عن سنى الحرب كلها يكون مكملا للفهارس السابقة فتعظم فائدته ويجزل شكر القراء عليه. وأحسبه يكلف تعباً كثيراً ولا يأخذ من صفحات الرسالة أكثر من ست صفحات أو سبع ، أو يتطوع أحد القراء بتنظيم هذا الفهرس وتقديمه للرسالة لتنشره باسمه وتكون عهدته عليه .

(دمشق) **(أحد القراء)**

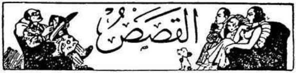
مهرجانات جامعة أدباء العروبة فى الأقطار الشقيقة :

اعتزمت جامعة أدباء العروبة أن تقيم مهرجانات أدبية فى القدس ودمشق وبيروت تحقيقا لغرضها الأسمى ، وهو وحدة الفكر العربى والنهوض بالأدب ليحمل رسالة الاصلاح والبعث والتوجيه . وسيسافر أعضاء الجامعة برياسة معالى إبراهيم دسوقى أباظه باشا إلى الأقطار العربية فى الأسبوع الأول من شهر يوليه القادم ، وقد تبرع الأستاذ محمد عبد المنعم إبراهيم عضو الجامعة بسياراته لنقل حضرات المدعوين كما ستنزل الجامعة فى ضيافته خلال هذه الرحلة .

وقد تألفت لجنة لاعداد هذه المهرجانات من حضرات الأساتذة الدكتور محمد وصفى ، ومحمد عبد المنعم إبراهيم ، وطه عبد الباقى سرور ، وجميلة العلايلى ، ومحمد عبد الوارث الصوفى ، وعبد الله شمس الدين .

والجامعة تدعو أدباء العالم العربى للمساهمة فى هذه الأسواق الأدبية الكبرى نظما ونثرا ، وترسل الكلمات إلى سكرتيرية الجامعة ١٩٦ شارع محمد على بالقاهرة .

طه عبد الباقي سرور
السكرتير العام



يوميات جينفيف

للكاتب الفرنسي مارسيل بريفو

عضو المجمع اللغوي الفرنسي

بقلم الدكتور محمد غلاب

٤ – حسن الختام :

يونيو في مدينة تانوار .

إن كل ما يحوطني الآن مفعم بالهدوء والسلام والعظمة والجلال والابتسام ، وحول منزلنا الصغير النائم تحت أشعة الشمس تبدو الجبال زرقاء وبيضاء . وقبالة هذا المنزل توجد البحيرة العظيمة بلونها الفضي ، وباريس الآن بعيدة .

نعم باريس بعيدة وكذلك الماضي بعيد ، وتلك الساعات القاسية التي احتملتها والتي كنت أتصور أنها ستقضي على حياتي ، كل ذلك قد انتهى كما انتهى الماضي البعيد ، والحياة الآن ستستأنف متحدة مضيئة . ولقد كان هذا التغيير فجائياً بدرجة لا أكاد أصدقها .

يا عجبا ! إن آخر سطر في مذكراتي الماضية كان غاية في اليأس والقنوط ، وهو : « لأن أقدم حياتي خير من أن أقدم أمانة زوجي أو صحة ولدي » .

لقد كنت أكتب هذه المذكرة في حجرة الطفل المريض وبجانب سريره ، وكانت الحاضنة تقرأ في تلك اللحظة نبأ قدوم الطبيب في الساعة الخامسة ، وكنت أنتظر حضوره في جزع شديد ، ولو أني كنت عارفة قراره مقدماً ، وهو قوله : لا جديد ، فلننتظر . وفي الواقع لم يكن هنالك جديد ، إذ أن جسم الطفل كان غارقا في العرق ، وهو يئن في سريره في وسط نوم مضطرب .

وعند الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل خادم زوجي ولقد كنت أكره لونه الذي هو مزيج من : صفرة وزرقة ورمادية ، وعينيه اللتين لا يمكن كشف ما وراءهما ، وفمه ذا الشفتين اللتين لا تكادان تريان من كثرة انقباضهما ، فسألته قائلة :

— ماذا تريد يا جوزيف ؟

— إن سيدي الكونت يسأل سيدتي أصحة سيدي الفيكونت أحسن الآن ؟ .

— إن سيدك إذاً لم يخرج .

— لا يا سيدتي ، إن سيدي ظل من بعد الغداء إلى الآن في مكتبه ، وهو يرجو من سيدتي أن تنبئه حينما يحضر الطبيب .

— حسن يا جوزيف ، ستنزل الحاضنة لتنبئ سيدك عند ما يحضر الطبيب .

لم يكن زوجي إذاً قد خرج ، لأنه كان قلقاً على صحة الطفل وكان يريد أن يحضر زيارة الطبيب ، فهل كان أحد يصدق ذلك ؟ لقد زاد هذا الاهتمام الفجائي بصحة الطفل من غضبي حتى أحسست في تلك الساعة أن الحقد يتضاعف في نفسي إلى درجة أني لم أعد أحتمل حنانه عليه وقلت في نفسي : ليتركني وحدي مع هذا الصغير العزيز المريض ، وليذهب إلى تلك المخلوقة . ولا ريب أن كبرياء الألم هي التي خلقت عندي هذه العاطفة ، لأنه كان ألماً مبرحاً .

وبعد الساعة الخامسة بقليل حضر الطبيب ، ولما نبأت الحاضنة الكونت صعد فوراً ، وكان في هذه اللحظة يختلف كثيراً عن طبيعته المفعمة بقوة الإرادة والشجاعة إلى حد أنني أحسست بالشفقة عليه ، لأنه كان متألما من ذلك العراك الذي كان يحتل نفسه في تلك الساعة بين هذا الخلق الكريم الحقيقي الذي حببه إلى الناس جميعاً ، وبين ذلك الهوى الوضيع الذي كانت نفسه تلح عليه في إطاعته .

« لا جديد فلننتظر » . هذه الكلمة التي تنبأت بها قالها الطبيب بحروفها وهو يضع على الوسادة رأس الطفل بعد أن فحص جسمه .

أعاد الطبيب كلمة « فلننتظر » وأضاف إليها قوله : يجب أن تستعدوا لكل شيء ، فالأزمة بدأت تتطور ، وسيظهر في هذا

السماء حدث جديد ، ولولا أن فى الأمر شيئاً سيظهر لما استمرت الحمى على هــذا النحو ، فهل عندكم طبيب ماهر فى هذا الحى ليلاحظ الطفل فى حالة حدوث ما لا ينتظر ؟ .

— نعم . يوجد طبيب ماهر فى ميدان « بوفو » وهو : الدكتور « جيل » .

— إنه لشاب ذكى ، وإنى أعرفه وسأكتب إليه كلمة ، لأوصيه بكم ، فإذا ما حدث أى شىء جديد فادعوه على عجل فى أية ساعة كانت .

— انصرف الطبيب وبقيت مع راءول وحدنا فى الحجرة ، فتصنعت أنى لا أنتبه إلى وجوده ، إذ كنت أسير فى الغرفة جيئة وذهاباً دون أن ألتفت إليه أو أحادثه ، وأخيراً قال بلهجة غير طبيعية :

— « إننى سأتعشى الليلة فى المنزل ياجينيفييف »

وحينما كان ينطق بهذه الكلمة كنت أقرأ فى نفسه كأنما أقرأ فى كتاب مفتوح أمامى هذه الأفكار الآتية : « إنه لردىء من جانبى أن أترك جينيفييف المسكينة وحدها فى مثل هذا القلق فلنتوسط فى الأمر ، ولنمنحها مرافقتنا إياها فى العشاء ، تلك المرافقة التى ستجن بها سروراً ، وبهذا أكون قد أديت واجبى ثم أذهب بعد ذلك إلى شارع « فيزيليه » .

وفى الواقع أنه لو كان قد عرض علىّ هذا العرض قبل ذلك اليوم بليلة واحدة لقفزت فرحا وطرت سروراً ، ولكن اليقين الذى احتل عقلى اليوم من جهة ، والقلق المضنى على صحة الطفل من جهة أخرى قد غيرانى تماما فأجبته فى فتور قائلة :

— تعشّ هنا إذا أردت ياصديق ، أما أنا فلن أنزل إلى حجرة المائدة لا سيما وأننى لا أرغب فى الأكل .

وعلى أثر سماعه هذا الجواب حل اليقين من نفسه محل الشك وآمن بأنى لا بد أن أكون قد عرفت شيئاً ، فامتقع وجهه ورأيت فى عينيه أنه يتردد فى أن يعترف لى بكل شىء وأن يطلب منى الصفح والتصافى ، ولكن تأثير الرغبة السيئة لم يلبث أن غلبه على أمره فاكتفى بأن يقول لى فى لهجة فاترة : « حسن ! اعملى ما تريدين » وقد كنت إذ ذاك منحنية على الطفل ، فلم يجرؤ على الاقتراب منه ، ثم تردد قليلا ، وأخيراً خرج . وعلى أثر ذلك طفقت الساعات الطويلة تسير فى بطء ، وأنا جالسة إلى جانب سرير المريض الذى يئن فى نومه ، وفى كل دقيقة أنحنى عليه وأنظر إلى جسمه الذى أخذ يزداد حرارة وحرة ، ولكن لم يظهر على جلده شىء من الحبوب . وفجأة هدأت الحمى وأخذ المريض فى التحسن واستيقظ وطلب لعبه ، فأفهمته ألا يكشف ذراعيه وصدره فأذعن ونام فى هدوء مطمئن ، فلما رأيت ذلك سررت واستسلمت إلى النعاس ، فأخذتنى سنة من النوم لم تطل ، إذ لم ألبث أن استيقظت على أثر حركة خفيفة أحسست بها ، فلما تبينتها وجدت زوجى منحنياً على سرير الطفل يحدق إليه بعناية وكان مرتديا ملابس الخروج ، غير أنه قد ارتدى فوق هذه الملابس « جاكتة » منزلية ، وكانت الساعة إذ ذاك التاسعة والثلث فقلت فى نفسى : إنه سيخرج ، وبعد نصف ساعة سيكون بين ذراعى تلك المرأة . وفى الحال خطرت لى فكرة انتظاره فى ذلك النزل كما كنت قد قررت آنفاً ، ولكن هذه الفكرة لم تبق فى رأسى إلا لحظة قصيرة ، إذ وجدتنى أقول فى نفسى : « كلا ، كلا ، إن مكانى ليس هناك ، بل هو هنا » .

وفى الحال قدمت بإخلاص إلى إلهى ضحية كبريائى وعاطفتى كزوجة محبة لينجى لى هذا الطفل .

وفجأة هتف راءول قائلا :

— « جينفييف جينفييف ! »

فنهضت واقفة لأنى أيقنت أن هذا الإيقاظ له علاقة بصحة الطفل ، وفى ثانية واحدة امحى من نفسى كل الحقد الذى كنت أحمله له ثم قلت :

— ماذا ؟ ما الذى حدث ؟

— أنظرى

قال هذا وأشار إلى نقط كحبات العدس قد أخذت تنتشر فى وجه الطفل وذراعيه ، ولونها أحمر باهت ، فصحت فى جنون قائلة :

يا إلهى يا إلهى ما هذا ؟ إنى أرجو على الأقل ألا يكون الجدرى قل لى يا راءول . وفى هــذه اللحظة تناولت يده وضغطت عليها ناسية كل شىء .

— امكثى هنا يا جينيفييف فسأذهب لإحضار الطبيب ثم خرج . وفى الوقت الذى فصل بين خروجه وعودته كنت أنا والحاضنة تائهين نذهب ونجىء فى الحجرة تارة ، وننحنى من النافذة لنسمع ضجيج المركبة تارة أخرى . ولقد كنت أدعو ربى وأتوسل إليه وأجدد النذر القديم وهو أن أحتمل فى سرور

خيانة زوجي كزوجة خاضعة تحرس في أمانة منزل الخائن .

وفي النهاية عاد السكون بصحبه الطبيب فأخذ يفحص الطفل وكنا في هذه اللحظة : أناوراءول ننتظر حكمه مرتعدين كطفلين يسيران في الظلام ، وكان كل منا يعتمد على ذراع الآخر رهبة وخوراً . ومضت على هذا خمس دقائق كاملة قبل أن يفوه الطبيب بكلمة ، وأخيراً قال :

— أنا أظن أنه ليس في الأمر خطر ، أظن ولست متأكداً ، لأن المرض لم يتحدد بعد .

— فقلت في تمتمة مضطربة :

— ولكن على كل حال هل هو الجدري .

— لا ، يقينا إن هذا ليس هو الجدري .

كان الطبيب يقول هذه الكلمة ببساطة وهو لا يدري أنه قد ردَّ بها إليَّ التنفس والحياة . وعلى أثر ذلك سقطت بين ذراعي راءول فاقدة القوى وإن كنت قد أحسست أن ثمة خفية بزوال الخطر قد احتلت نفسي دفعة واحدة وشعرت بالرضى والسعادة ، فطفرت من عيني دموع غزيرة لا أدري أهي دموع رد الفعل أم دموع السرور، ثم انتابتني على أثر ذلك أزمة عصبية لم أفق منها إلا حين لاح نور الصباح . وحينئذ وجدت راءول جالساً عند وسادتي فلم أشأ أن أضيع الوقت في سؤاله عن سبب جلوسه بجانبي ، وإنما هتفت به قائلة : وربنيه كيف هو ؟ .

— إنه الآن أحسن حالا ، وإن مرضه لخفيف وبسيط ، وإن المحبوب الآن بادية على وجهه بهيئة تجعله دميا في هذه اللحظة فقط ، ولكن الخطر قد زال ، والحاضنة والخادمة — ساهرتان عليه . وأنت كيف صحتك ؟

— أنا صحتي جيدة جداً .

وإذ ذاك أردت أن أنهض فخانتني قوتي وسقطت على الوسادة فقال راءول وهو يقبض على يدي .

— مسكينة يا صديقتي .

وبعد ذلك ساد بيننا صمت كنت أثناءه أقول في نفسي :من حيث أن راءول هنا فهو إما أن يكون قد عاد من شارع فيزيليه وإما أنه لم يذهب ثم سألته قائلة :

— في أية ساعة عدت يا راءول ؟

— إني عدت مع الطبيب ، وإني بجانبك منذ أن نمت إلى الآن .

قال هذا وقرب وجهه من وجهي فتمتمت قائلة :

— ثم ماذا إذاً ؟

وإذ ذاك فهم كل شيء ، فأجابني بصوت خافت : إذاً ... أنا أحبك وحدك وينبغي أن تصفحي عني ، وهذا هو كل شيء، وعلى أثر ذلك تبادلنا قبلة لم نذق مثلها منذ عهد خطبتنا !

مضت على هذا الموقف ثلاثة أسابيع جملت صحة الطفل إبانها تحسن باطراد حتى استطعنا أن نسافر به إلى « تالوار » . وهانحن أولاء بمنزلنا سعداء شأننا في صيف كل عام . ولقد أطلعني راءول على برقية وردت إليه من هذه المرأة في صباح تلك الليلة المزعجة ، وقد جاء فيها ما يلي : « لقد انتظرت أمس ساعتين كاملتين في هاتيك الغرفة الدميمة ، وإنني لا أحب الأشخاص السيئي التربية فعم مساء ياسيدي » .

ويبدو أن هذا الـ « عم مساء » كان معناه الوداع الأخير .

أما الآنسة جيفيرني فهي ستتزوج .

إن الطفل قد برىء تماما ، وإنه لجميل كما كان ولم يبق في وجهه أي أثر للحبوب ، وإن الدكتور روبان قد قال لي : إنه سيكون شابا فاتنا له من أسيرات حبه مثل ما لأبيه .

فأجبته قائلة :

— مثل أبيه ! إني أسأل الله أن تكون أسيراته في الغرام أقل عددا من أسيرات أبيه .

محمد غلاب
